المقدمة:

لقد كان القرن العاشر الهجري حاسما في تحول مركزية مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - من بلاد الشام إلى وسط الجزيرة العربية بعد قيام علاقة تعليمية كان القرن العاشر هو مجالها الزمني . الذي يتميز بتوثيق لبعض جوانب النظام التربوي ؛ فبالإضافة إلى تراجم العلماء التي اتسمت بالسعة والشمولية والتركيز على الجوانب التعليمية، فقد ظهرت مؤلفات عن التعليم ومؤسساته كما فعل محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) في كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية وعبدالقادر النعيمي (ت ٩٧٨هـ)في كتابه الدارس في تاريخ المدارس وكلاهما من علماء بلاد الشام في القرن العاشر، وقد تحدثا عن النظم التعليمية للمذاهب الأربعة في بلاد الشام .

أما وسط الجزيرة العربية فقد بدأت فيه نهضة علمية محورها تدريس الفقه وعلم المواريث ؛ نظرا لحاجة الناس للفتوى في عبادتهم والتقاضي في معاملاتهم دون إغفال تام للعلوم الأخرى. وقد شكّل القرن العاشر نقطة انطلاق كبرى نظرا لكثرة العلماء مقارنة بالعصور السابقة . وقد تميز هذا العصر بعلماء روّاد فبالرغم من كون الحالة الاجتماعية في أسوأ أحوالها بانعدام الأمن وانتشار الجهل، والفقر، والأمراض ؛ فقد حرصوا على طلب العلم ونشره وتحملوا المشاق والمخاطر في طلبه كما امتاز العصر ببداية بزوغ فجر النشر العلمي بالتأليف والوقف على الكتب واستنساخها، كما امتاز بالرحلة لطلب العلم وبخاصة نحو بلاد الشام لما فيها من علماء ومدارس، ورعاية لطلاب العلم الوافدين إليها.

يتميز مذهب الإمام أحمد بأنه أبقى باب الاجتهاد مفتوحا، وهذه منهجية تربوية مهمة تبرز تطبيقاتها في استمرار الاجتهاد المنضبط بقواعده .

لقد تضمن النظام التعليمي في كل من بلاد الشام ووسط الجزيرة العربية

كثيرا من الجوانب الإيجابية والمميزات التي تجعل الدارس يقف ويتأمل ويستفيد من تلك التجارب والخبرات . كما أن هذين النظامين وجد فيهما بعض جوانب القصور ومنها تؤخذ أهم الدروس حتى لا تتكرر الأخطاء، والإيجابيات والسلبيات تتضمن دروساً ملهمة نأخذ منها العبر التي نعبر بها نحو المستقبل بمزيد من الثقة.

يتضمن تاريخ المذاهب الفقهية في الإسلام، وانتشارها في العالم الإسلامي مجالا خصبا للدراسات في تاريخ التربية الإسلامية ؛ فالمدارس التعليمية ذات النزعة الفقهية هي أكثر أنواع المدارس، وتنافس أتباع المذاهب في إنشاء المدارس وتخصيص الأوقاف لها وتأليف الكتب وغير ذلك من الأنشطة التي تسهم في نشر المذهب وتوسيع مكتبته الفقهية، كما أن نشر المذهب أساسا يتم عبر التعليم ؛ فالتلميذ يتشرب ذلك عن طريق التعليم ودروس العلم في المساجد والمدارس، فالانتساب للمذهب هو اكتساب لاتجاهات نفسية ومعرفية قد تصل أحيانا إلى درجة التعصب المذموم، كما أن عملية التمذهب أيضا تتضمن تشكيل انتماء لعلماء المذهب، وكل هذه القضايا بحاجة إلى دراسات تربوية تكشف عن واقعها في العصور الماضية، وتأخذ الدروس والعبر منها ؛ لكي تستفيد التربية الإسلامية من الجوانب الإيجابية، وتتحاشى الجوانب السلبية .

وهذه الدراسة تحاول الكشف عن جوانب العلاقة بين النظامين التعليميين في وسط الجزيرة العربية، وبلاد الشام .

أسئلة الدراسة :

سوف تجيب هذه الدراسة بإذن الله - على الأسئلة الآتية :

١. ما أبرز جوانب القوة، وجوانب الضعف في نظام التعليم في وسط

الجزيرة العربية وبلاد الشام في القرن العاشر ؟

٢. ما جوانب العلاقة التعليمية بين وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام في القرن العاشر الهجري ؟

٣. ما أوجه الاستفادة من هذه الحقبة في وضع التعليم الحالي ؟

أهمية الدراسة :

تظهر أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية :

١. أنها تكشف واقع النظام التعليمي في بلاد الشام خلال القرن العاشر الهجري وتحديدا مدارس الحنابلة ومؤسساتهم التعليمية ، من حيث جوانب القوة والضعف فيه فقد أشار عدد من الباحثين إلى تردي الوضع التعليمي في تلك البلاد ابتداء من القرن التاسع ، وبلغ أوج ضعفه في القرن العاشر الهجري - وسيأتي بيان ذلك مفصلا بإذن الله - فهذه الدراسة ستكشف جوانب القوة والضعف ، وأسبابها لأخذ الدروس والعبر منها .

٢. أنها تكشف ملامح النظام التعليمي في وسط الجزيرة العربية ، ومقارنته بالنظام التعليمي في الشام وبالذات التعليم عند الحنابلة وعناصر القوة والضعف فيه .

٣. أنها تكشف عن علاقة النظام التعليمي بالنظام الاجتماعي والسياسي السائد في كل من الشام ووسط الجزيرة العربية .

٤. أنها تكشف عن العلاقة التعليمية بين النظامين ، وهي علاقة لها انعكاسها على الحركة التعليمية في وسط الجزيرة العربية ، وفي بلاد الشام أيضاً .

حدود الدراسة :

سيكون الإطار الذي يحتوي هذه الدراسة وفق الحدود التالية :

١. الحدود المكانية : بلاد الشام - مع التركيز على مدينة دمشق

وضاحيتها الصالحية - لأنها كانت أهم المراكز التعليمية خلال القرن العاشر الهجري والقرون الثلاثة السابقة ابتداء من سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ . كما ستقتصر على وسط الجزيرة العربية وتحديدا المراكز التعليمية الرئيسة آنذاك : أُشيقر، العُيينة، الدرعية، الرياض .

٢. الحدود الزمانية : القرن العاشر الهجري (٩٠١ - ١٠٠٠هـ) وستشمل الدراسة كل عالم، أو نشاط تعليمي حدث خلال المدة المذكورة ؛ ونظراً لأن الظواهر الاجتماعية لا يتم التحول والتغير فيها فجأة فإن الباحث سيدرج كل عالم عاش في هذا القرن ولو سنة واحدة - سواء كان ذلك في أول القرن أو آخره - لأن أواخر القرن السابق وأوائل القرن اللاحق لا تختلف كثيراً عن طبيعة القرن وسماته السائدة .

٣. الحدود الموضوعية : ستقتصر الدراسة على النشاط العلمي والتعليمي، وماله صلة مباشرة به كالقضاء والإفتاء والأوقاف والأحوال الاجتماعية والسياسية .

مصطلحات الدراسة :

العلاقة التعليمية : هي كل تواصل بين العلماء وطلبة العلم في مدينة دمشق وضاحيتها الصالحية وبين العلماء وطلبة العلم في وسط الجزيرة العربية ويشمل التعلم والتعليم، وتبادل الكتب وشرحها، أو اختصارها، والاستفادة من مؤسسات التعليم ومرافقها .

النظام التعليمي : هو الإطار الذي يحتوي جميع مكونات العملية التعليمية (المعلم، والطالب، ومصدر التعلم، والمؤسسة التعليمية، والمناهج وطرق التعليم، وأساليب الإدارة والإشراف والتقويم .

منهج الدراسة :

نظرا لأن البحث يدرس ظاهرة تربوية امتدت على مدى قرن كامل، ووقعت أحداثها وتفاعلاتها قبل خمسة قرون فإن المنهج المناسب لذلك هو المنهج التاريخي

ونظرا لاشتراطات المنهج التاريخي في ضرورة بناء الاستنتاجات على مصادر تم التأكد من صحتها ؛ فقد اعتمد الباحث على ٢٩ مصدرا تاريخيا دونت جميعها في القرن العاشر أو قريباً منه. كما تم التوثق من صحتها بأن كانت هذه المصادر محققة تحقيقا علميا من قبل علماء وباحثين ينتمون إلى مؤسسات علمية أو مراكز بحث . موثقة ضمن قائمة المصادر والمراجع في هذا البحث .

الحالة الاجتماعية والسياسية في وسط الجزيرة العربية في القرن العاشر، وما سبقه :

منذ انتقال مركز الحكم في الدولة الإسلامية إلى الشام ثم العراق فقد لقي وسط الجزيرة العربية إهمالاً متواصلاً ؛ فقد أشار الدامغ (٢٠٠٤) إلى أن وسط الجزيرة العربية أو ما يعرف في تنظيمات الدولة الإسلامية في عصري الدولتين الأموية والعباسية بـ»ولاية اليمامة«، أكثر أقاليم الجزيرة العربية معاناة من الإهمال والعزلة . لقد كان منصب والي اليمامة شرفياً بدرجة كبيرة حتى أن كثيراً من ولاتها اعتادوا البقاء في بغداد ونادرا ماكانوا يباشرون من مقر عملهم ، وهذا ما يفسر وقوف بعض سكان الإقليم موقفا سلبيا من السلطة المركزية فاضطرب الأمن وكثر قطاع الطرق والخارجين على النظام العام ولذلك فقد "أقام القائد التركي بغا الكبير في بلاد نجد نحو سنة، نجح خلالها في القضاء على تمرد الأعراب. وأسفرت عملياته خلال تلك الفترة عن أسر نحو ثمانمائة رجل غير القتلى والمشردين " العسكر (١٤٢٤هـ، ص ١٠٤) .

وبالرغم من هذه الظروف البائسة التي تُشغل الناس في تأمين الحد الضروري من حاجاتهم كالمأكل والملبس والأمن على النفس إلا إنه ظهر مجموعة من العلماء في تلك العصور المتقدمة كما ذكر ابن عساكر (١٤١٥) " أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم أبو سهل الحنفي اليمامي الذي تلقى العلم في بلده على مجموعة كبيرة من العلماء منهم : جده عمر بن يونس، وعبدالله بن يحيى اليمامي، ويحيى بن عبدالعزيز الحارثي اليمامي، والنضر بن محمد اليمامي، وعبدالرزاق بن همام، وبكر بن عبدالله الشرود، وأبي داود سليمان بن كراز، وبكر بن الحجاج، وعبدالرحمن بن سعيد اليمامي، وعثمان بن سعيد الكلاهي، وعبدالرحيم بن الربيع بن سليمان اليمامي، وإسماعيل بن أويس حتى تحققت له مكانة علمية في بلده (اليمامة) ثم رحل في طلب العلم وتعليمه إلى بلاد الشام وعلّم الناس بدمشق، ثم مصر ثم بغداد ومنها إلى أصفهان ودرّس في هذه البلدان جميعا" ج ٥ ص ٤٢٣) .

لكن الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية كانت في غاية التردي فكل قرية أو بلدة ذات حكم ذاتي مستقل، كما كانت القبائل في البادية لكل منها أمير مستقل مما نتج عنه كثرة الاضطرابات والحروب . في ظل هذه الظروف حتى وإن وجد أفراد لديهم الرغبة في التعلم والتعليم إلا أن الظروف غير مواتية لقيام منظومة تعليمية بمدخلاتها ومؤسساتها ونشاطها ومخرجاتها ؛ ولذلك يضطر هؤلاء الأفراد للهجرة إلى الحواضر العلمية في بلاد الشام غالباً .

وهناك حدث جغرافي هام أثر على الوضع الاقتصادي، ومن ثَم الاجتماعي في الجزيرة العربية خلال هذا القرن وهو اكتشاف رأس الرجاء الصالح ؛ فقد كانت التجارة بين الشرق والغرب تمر عبر الخليج العربي ثم تنقل من هناك إلى البحر المتوسط عبر الجمال، وهذه التجارة في النقل كانت

تشكل موردا جيدا لكثير من سكان أواسط وشرق الجزيرة العربية . يقول عويضة الجهني "ألحق البرتغاليون هزيمة شديدة بالجبريين في جزيرة البحرين سنة ٩٢٧هـ وحولوا تجارة الهند والبحار الشرقية التي كان يمر قسم منها عبر وسط الجزيرة العربية تحت حماية الجبريين إلى رأس الرجاء الصالح وبذلك لم تقتصر خسارة أهل نجد على فقد الإمارة الجبرية التي أسهم البرتغاليون في إضعافها ثم سقوطها والتي كانت تحمي قوافل الحج والتجارة العابرة ببلادهم وترعى السكان المستقرين وتحد من نشاط القبائل الرحل بل إن سكان نجد فقدوا موردا مهما كانوا يستفيدون منه بتحول تجارة الهند والشرق من المرور ببلادهم " ابن يوسف (١٤١٩هـ، ص ٢٠) .

ولعل هذا التغير في طبيعة النشاط الذي يمارسه السكان - وخاصة البادية - كان ضمن عوامل أدت لتحول كثير من سكان إقليم وسط الجزيرة العربية من حالة البداوة إلى إنشاء القرى والبلدات ؛ فكثير من البلدان تم إنشاؤها، أو أُعيد إعمارها في حدود القرن العاشر، يقول عويضة الجهني " إن من اللافت للنظر ظهور عدد من القرى والبلدان الجديدة في نجد خلال الفترة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر " ابن يوسف (١٤١٩هـ، ص ١٩) .

ويرى الدامغ (١٤٣٢هـ) أن إعمار أو إعادة إعمار كثير من بلدان وسط الجزيرة العربية كان في القرن العاشر وما قبله، والعيينة والدرعية بُدء في إعمار كل منهما سنة ٨٥٠ه تقريبا، ولاشك أن هذا التغير كان من أبرز حوافز حصول تقدم حضاري ارتبط به وضع بذرة النظام التعليمي، على أن هذا التغير لفت أنظار القوى الإقليمية المحيطة يقول عويضة الجهني " قام أشراف مكة بأولى حملاتهم على نجد في عامي ٩٨٦، ٩٨٩هـ حين هاجموا معكال والبديع والخرج واليمامة والسلمية " ابن يوسف (١٤١٩هـ، ص ١٧) .

إن بداية الحركة العلمية في وسط الجزيرة العربية في العصور المتأخرة كانت في القرن الثامن الهجري في بلدة أُشيقر مركز الإشعاع العلمي والحضاري حتى بداية القرن الثاني عشر ، ومن شواهد ذلك، (وثيقة صبيح) الوقفية، وهي مكتوبة بلغة قوية، وبأسلوب فقهي دقيق وقد دونت عام ٧٤٨ه .، وكتاب الفروع لابن مفلح الذي نسخه أحمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل في أشيقرسنة٧٨٠ه البسيمي (١٤٣٠هـ، ص ١١) .كما وردت الإشارة إلى كتاب التوابين لابن قدامة (ت ٦٢٠ه) الذي نسخه الشيخ عبدالله بن شفيع سنة ٧٩٩هـ . ابن حميد (١٤١٦ ، ج ٣، ص ١١٩٧) .

أما القرن التاسع فقد شهد حركة علمية أكثر وضوحاً من سابقه، تبدو آثارها التي وصلت إلينا في شخصية العالم الفذ أحمد بن عطوة الناصري - رحمه الله - وهو من العلماء المخضرمين حيث كانت وفاته في النصف الأول من القرن العاشر (٩٤٨ه)، وكذلك محمد بن حميدان الذي وقف كتاب الإنصاف للمرداوي على طلاب العلم الحنابلة في بلاد الشام عام ٨٧٠ه البسيمي (١٤٣٠هـ، ص ١٦) .

الحالة الاجتماعية والسياسية في بلاد الشام خلال القرن العاشر الهجري :

دخل القرن العاشر الهجري وبلاد الشام بأسرها تحت نفوذ السلاطين المماليك في مصر حتى سنة ٩٢٣هـ حين انتصر العثمانيون عليهم في معركة مرج دابق واستولوا على بلاد الشام، ثم مصر لاحقا وقضوا نهائيا على دولة المماليك .فالذين حكموا من بداية القرن العاشر حتى سقوط دولتهم سبعة حكام منهم ستة كانوا بين ٩٠١ - ٩٠٦هـ ؛فقد دبت الخلافات بينهم وكثر القتل فأصبحت الفرصة مهيأة تماما للقضاء عليها من قبل الدولة العثمانية التي هي في عصر القوة والعنفوان والتوسع . فريد بك (١٤٠١هـ، ص٩٥).

لقد كانت دولة المماليك من بداية هذا القرن في حالة تدهور شديد ؛ فقد وصل الحال في أوائل القرن العاشر الهجري إلى ذروة الفساد المؤذِن بغروب شمس تلك الدولة حتى إن الوظائف العامة بما في ذلك وظيفة نائب الحاكم في بلاد الشام تباع من قبل السلاطين ينقل جونز (١٩٩٤ ، ص ٢٧) عن فارتيما " عندما ينجح أحد السلاطين المماليك في الوصول إلى السلطنة يأتيه أحد أمرائه ليقول له : لقد خدمتك كعبد لك ردحا طويلا من الزمن فأعطني دمشق وسوف أقدم لك مائة ألف أو مائتي ألف أشرفي ذهبا وعندئذ يمنحه السلطان هذا الشرف لكن يجب عليك أن تعرف أنه إذا لم يرسل حاكم دمشق للسلطان في غضون عامين فإن السلطان يسعى لقتله"، وهذه صورة من صور الفساد الإداري المفضي لتردي النظام التعليمي الذي لم يسلم هو أيضا من بيع المناصب للقضاة والقائمين على الأوقاف العظيمة التي تدر على التعليم ما يحتاج من أموال كما سيأتي بيانه - إن شاء الله - عند الحديث عن نظام التعليم، وربما هذا هو السبب في عدم استقرار الإدارة في بلاد الشام من دخول القرن العاشر حتى سقوط دولة المماليك فقد حكمها من بداية القرن العاشر إلى سقوط الدولة (٩٠١ - ٩٢٣) ١٣ واليا كما ذكر الصفدي (١٩٨٤ ، ص ٢٠٥) وبعد زوال دولة المماليك وقيام الدولة العثمانية الفتية وسيطرتها على بلاد الشام لم تتحسن الأحوال كثيرا وبالتحديد على صعيد التعليم ونشره ؛ فقد عين العثمانيون ولاة أتراكاً في بلاد الشام، وبدأت الجفوة بين العرب والترك التي كانت سمة من سمات الحكم العثماني .

كانت بداية انتشار مذهب الإمام أحمد بن حنبل في بلاد الشام عن طريق التعليم، والرحلة في طلبه، فقد كان أبو الفرج الشيرازي (ت ٤٨٦ هـ) أحد تلاميذ لأبي يعلى الفراء (ت ٤٥٨ هـ) "سكن بيت المقدس فنشر مذهب

الإمام أحمد فيما حوله، ثم ارتحل إلى دمشق فنشر المذهب " كما ذكر ابن رجب (١٤٢٥هـ، ج ١، ص ١٥٧)، وهناك بدأ المذهب ينتشر شيئا فشيئا في بيت المقدس ثم في دمشق وضواحيها .

ازدهرت المدارس في عصر نور الدين والعصور الأيوبية والمملوكية حتى منتصف القرن الثامن الهجري فقد أشار ليدر (١٩٩٦)، إلى " أن أعداد العلماء وطلاب العلم ازدادت في مدينة دمشق وضواحيها والقرى التابعة لها . وشهدت المدينة نشاطا علميا ملحوظا ساهم المقادسة الذين هاجروا إليها " ص ١٢ .

أما في الدولة العثمانية فأول السلاطين العثمانيون الذين حكموا في القرن العاشر - كما ذكر فريد بك (١٤٠١هـ) هو السلطان سليم الأول الذي حكم تسع سنوات من ٩١٧ - ٩٢٦هـ، ثم ابنه سليمان القانوني ومدة حكمه ٤٨ سنة من ٩٢٦ - ٩٧٤هـ وكان عهده ذهبيا وبلغت الدولة أوج عظمتها، وقد أولى التعليم اهتماما بالغا وطور نظامه وجعل المفتي على رأس هرم النظام التعليمي تولى بعده ابنه سليم الثاني الذي حكم ٨ سنوات ٩٧٤ - ٩٨٢هـ، ثم تولى ابنه مراد الثالث مدة ٢١ سنة من ٩٨٢ - ١٠٠٣هـ. والدولة العثمانية بعد سيطرتها على بلاد الشام فرضت المذهب الحنفي مما أثر على نظم التعليم التابعة للمذاهب الفقهية الأخرى بما فيها المذهب الحنبلي .

أما الوضع الأمني فقد تأثر كثيرا بسبب تدهور الوضع السياسي والإداري في أواخر عصر المماليك ؛ فمثلا يروي ابن طولون (١٤١٨هـ) أنه " في سنة (٩٠٢هـ) عقب موت النائب قانصوه اليحياوي أغرى بعض الفقهاء للزعر بأنه يجوز قتل أعوان الظلمة فصار من في قلبه من أحد شيء إما يقتله أو يغريهم بقتله ويعطيهم دراهم فيقتلونه ويحتجون بأنه عواني فحصل بذلك فساد كثير " (ص ١٤٨) . في ظل هذه الظروف السياسية والأمنية فإن التعليم

لا يمكن أن ترتفع له راية، أو يزدهر في ظل توترات أمنية تقلص اهتمامات الناس على حاجاتهم الضرورية .

الدراسات السابقة :

تتباين المصادر التاريخية من حيث وفرتها بين المنطقتين موضوع الدراسة خلال القرن العاشر الهجري ؛ فعلى حين تتوافر مصادر كثيرة ومتنوعة عن النظام التعليمي في بلاد الشام : علماء ومناهج ومؤسسات فإن الوضع يختلف عن ذلك تماما في وسط الجزيرة العربية حيث تندر المصادر العلمية عن النظام التعليمي بشكل عام ؛ لكن هذا الموضوع خُدم بشكل جيد من الباحثين المعاصرين وخاصة المتخصصين في الدراسات التاريخية، وفيما يلي عرض لأهم الدراسات التي تحدثت عن بعض جوانب موضوع الدراسة :

أولا : الدراسات المتعلقة بنظام التعليم في وسط الجزيرة العربية :

تحدث أحمد البسام (١٤٢٦هـ) عن الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ؛ ونظراً لكون بعض العلماء الذين أشارت إليهم الدراسة عاشوا في القرنين العاشر والحادي عشر ؛ ولكون عامة علماء القرن الحادي عشر تلاميذ لعلماء القرن السابق فمن الطبيعي أن تتحدث الدراسة عن جوانب مشتركة مع هذه الدراسة خاصة أنه لا يوجد فارق كبير بين الحياة العلمية في القرن الحادي عشر والقرن العاشر.

فقد تحدث عن مستويات التعليم وذكر أنه يمكن تمييز مرحلتين حسب القدرة العلمية للطلاب : مبتدئين ومتقدمين، وأن تقسيم الطلاب إلى ذلك راجع للمعلم الذي يميز بين طلابه حتى لا يضرهم إذا جمع بين المبتدئ والمتقدم، وتحدث عن تمويل التعليم حيث أشار إلى قلة الموارد اللازمة لبناء المدارس وتحمل نفقات التعليم ؛ فالتمويل يعتمد على ما يدفعه أولياء أمور

الطلاب، أو بعض الأوقاف التي تخصص للتعليم، وهي بلا شك ضئيلة ومتواضعة نظرا لتدني الوضع الاقتصادي ولذا فمن الطبيعي أن يكون التعليم نخبويا يلتحق فيه أبناء الموسرين، وأبناء الطبقة المتعلمة الذين يستطيعون الاستغناء عن مساعدة أبنائهم في أعمالهم، ولديهم مقدرة على الإنفاق، ووعي بأهمية العلم والتعليم.

أما المناهج فقد أشار إلى أنها تبدأ بالقرآن الكريم، والخط والإملاء والحساب، والسيرة النبوية ومقدمات في النحو والعربية. أما طرق التدريس فإنها تعتمد على التلقين والحفظ.

وتحدث عن أهم المراكز التعليمية فذكر منها: أشيقر: وهي أكبر مركز تعليمي آنذاك احتلت مركز الصدارة منذ القرن الخامس الهجري، كما أشار إلى بعض علمائها منهم: ناصر بن محمد بن مشرف (توفى آواخر القرن العاشر الهجري)، والشيخ علي بن جعفر بن فضل (ت ١٠١٥هـ)، والشيخ محمد بن عبدالله بن حسن بن مشرف (ت ١٠٣٥هـ) والعيينة: وذكر أنها أنشئت سنة ٨٥٠هـ، وأصبحت مقراً لبعض العلماء، ومن أبرزهم أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد الناصري (ت ٩٤٨هـ)، وهو من العلماء الرواد الذين رحلوا إلى بلاد الشام والرياض: ومن أبرز علمائها في القرن العاشر الهجري الذين أشار إليهم الباحث: الشيخ إسماعيل بن رميح، وقد نشطت الحركة العلمية فيها بعد انتقال عبدالله بن ذهلان وأخيه عبدالرحمن من العيينة. كما أشار إلى مراكز أصغر منها مثل عنيزة والمجمعة.

كما درس عبدالله العثيمين (١٣٩٨) بعض جوانب الموضوع، فأشار إلى وجود علماء قبل القرن العاشر الهجري مستندا في ذلك إلى وثيقة وقف صبيح التي ترجع إلى عام ٧٤٧هـ ولكون أحمد بن عطوة (ت ٩٤٨هـ) قد تلقى

العلم في بلده قبل أن يرتحل إلى بلاد الشام للاستزادة . وأشار إلى أن علماء القرن الحادي عشر في نجد ضِعف عدد علماء القرن العاشر مما يوحي إلى أن المنطقة كانت في تقدم علمي مستمر، وذكر أن ١٥ عالما نجديا لم يكتفوا بالدراسة في وسط الجزيرة العربية (منهم خمسة من القرن العاشر)، وذكر أن رحلة علماء وسط الجزيرة العربية إلى بلاد الشام قد تناقصت اعتباراً من منتصف القرن الحادي عشر بسبب ازدياد العلماء في وسط الجزيرة العربية، وقلة المشاهير من العلماء خارج وسط الجزيرة العربية في هذه الفترة .

وقد ضمن العثيمين دراسته رأيه في انتشار مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - في وسط الجزيرة العربية وأن السبب كونه يمثل البساطة وهو ما يتناسب مع طبيعة سكان الإقليم، وربما كان لصمود الحنابلة على مبادئهم وتحملهم الأذى في سبيله كما حصل مع الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد بن تيمية - رحمهما الله تعالى -كما أشار إلى حالة وسط الجزيرة العربية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - من انتشار الجهل والبدع كالتصوف والشعوذة، والشرك مع الله وإنكار البعث في البوادي . ويرى أن موقف العلماء مع هذه الظواهر كان سلبياً . وخلص إلى أن وسط الجزيرة العربية كانت بحاجة إلى حركة إصلاحية، وأن جميع الظروف كانت مهيأة لنهوض الحركة ونجاحها .

كما عرض عبدالرحمن الشقير (١٤٢٣هـ) عدداً من المسائل ذات الصلة بالتاريخ العلمي والاجتماعي في وسط الجزيرة العربية، فقد عد القرن العاشر بداية مرحلة النهضة الحديثة للمذهب حيث بدأ بالانتشار بشكل واضح ابتداء من القرن الثامن الهجري .

كما عرض الآراء حول دخول مذهب الإمام أحمد - رحمه الله تعالى -

إلى وسط الجزيرة العربية ورأى أن ذلك كان مبكرا جدا فقد كان ثلاثة من تلاميذ الإمام أحمد يماميون . كما أشار إلى بعض طلاب العلم من الحنابلة في وثائق السماعات بمدينة دمشق خلال القرنين السابع والثامن . كما أشار إلى وجود التصوف في نجد وعزاه للاتصال بالمتصوفة في بلاد الشام .

وذكر عبداللطيف آل عبداللطيف (د.ت.) أن المذهب كان سائدا في وسط الجزيرة العربية من عدة قرون، ورأى أن رحلة طلاب العلم إلى الشام وتتلمذهم على حنابلة الشام من أسباب ظهور مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -في وسط الجزيرة العربية . وأشار إلى أن أبرز علماء القرن العاشر كانوا على مذهب السلف كحسن بن علي بن بسام (ت ٩٤٥هـ)، وأحمد بن عطوة (ت ٩٤٨هـ)، وأن علماء القرنين الثاني عشر والثالث عشر أكثر عمقاً في منهجيتهم من علماء القرنين العاشر والحادي عشر . وأشار إلى تأثر بعض العلماء بعلم الكلام كأحمد بن عطوة وحسن بن بسام - رحمهم الله تعالى - وأشار إلى تأثر بعض العلماء بالمنطق، وبالتصوف الذي عزاه إلى تأثرهم بمشايخهم في بلاد الشام . ومن مظاهره الأذكار البدعية، والغلو في الأولياء والدعاء عند القبور وأشار إلى أن التصوف انتشر حتى درج على كلام العامة بل والعلماء كذلك فشاع استخدام بعض المصطلحات الصوفية . بل تأثر بعضهم بآراء متطرفة الصوفية كابن عربي وابن الفارض وغيرهم .

كما تحدثت حصة السعدي (١٤٢٣هـ) عن واقع التعليم في نجد في الفترة من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر، فذكرت أن مجتمع البادية يكاد يفتقر تماما إلى التعليم . أما في المراكز الحضرية فهناك النزر اليسير منها، وتعتمد على الأوقاف، وما يقدمه أولياء أمور الطلبة . وذكرت أن المذهب موجود في وسط الجزيرة العربية قبل القرن العاشر .كما أشارت إلى المقررات التي تدرس وهي

القرآن والخط والإملاء والحساب والفقه .

ثانيا : الدراسات المتعلقة بنظام التعليم في بلاد الشام :

اطلع الباحث على مجموعة من الدراسات التي تحدثت عن التعليم في بلاد الشام، وفيما يلي عرض لأبرز تلك الدراسات :

تحدثت ندى صعيدي (١٩٧٤) عن أهمية دراسة القرن العاشر لوجود طبقة مميزة من العلماء لهم أثر شعبي وسياسي . كما تحدثت عن أهمية مدينة دمشق التي أصبحت نقطة جذب للعديد من العلماء في العهد المملوكي نظرا لازدهار اقتصادها . وتحدثت عن المكانة الاجتماعية المرموقة للعلماء لذا شجعوا الأمراء والتجار على إنشاء المدارس وتحبيس الأوقاف عليها . وكان للعلماء مكانة سياسية هامة نتيجة حاجة الأمراء لهم ولكثرة مصاهرات العلماء مع الأمراء . لقد كثر الفساد المالي والإداري الذي يؤثر بقوة على النظام التعليمي . كانت الوظائف العليا بما في ذلك الوظائف العلمية حكرا لأسر معينة . وكان الولاة يبيعون الوظائف بالمزاد في دار المُلْك ومن الطبيعي أن المتزايدين من ذوي الأطماع الذين يستثمرون أموالهم ويضاعفونها بهذه الطريقة هم الذين يحصلون عليها. وفي القرن العاشر ظهر الضعف جليا في النظام التعليمي بالرغم من وجود علماء ومؤسسات تعليمية ؛ لأن دولة المماليك بهذه المؤشرات تتجه نحو السقوط أمام الدولة العثمانية الفتية، وفي العهد العثماني اختلف الوضع فعاد الوضع السياسي للاستقرار . كما تم إلغاء كثير من الوظائف الكبرى فاكتُفيَ بقاضي القضاة الحنفي بعد أن كان لكل مذهب قاضي قضاة ومعه مجموعة من النواب . ومن الوظائف العامة : قاضي القضاة، والقاضي، ونائب القاضي، ونائب الحاكم، وناظر الجيش، وكاتب السر، ووكيل بيت المال، والشهادة، وأحد العدول، وناظر القلعة، ووالي

الأوقاف، وناظر أوقاف الحرمين . وقد أحصت الباحثة ٦٤ عالما من المترجم لهم ذُكرت وظائفهم كالتالي : ١٣ مدرس، ١١ خطيب، ٨ مفتين، ٦ قضاة، ٥ وعاظ، ٤ نظّار، ٤ أئمة، ٣ قاضي قضاة، ٢ مؤدب أطفال، وواحد في كل من : شيخ / شاهد / مقرئ / مؤذن / شيخ الإسلام / مفتي دار العدل / ناظر البيمارستان .

وتحدثت نوف الحازمي (١٤٣١هـ) عن جانب من اهتمام السلاطين المماليك بالعلم والعلماء في القرن العاشر الهجري، ومن ذلك أن الأشرف قايتباي (ت ٩٠١هـ) بنى المدارس بمكة المكرمة والمدينة المنورة والقاهرة ودمشق والإسكندرية، وأنه كان يشتغل بالعلم ويكرم العلماء . كما كان السلطان قانصوه الغوري (ت ٩٢٢هـ) وهو آخر السلاطين المماليك يحرص على عقد المجالس العلمية مرة أو مرتين في الأسبوع وكان يحتفل بمناسبة ختم صحيح البخاري . كما أشارت الباحثة إلى عدم الاستقرار السياسي في الفترة الأخيرة من عمر الدولة المملوكية (٨٢٤ - ٩٢٣هـ) فقد اتسمت بكثرة عزل أو قتل السلاطين نتيجة لكثرة الانقلابات (١٥ سلطانا حكم كل واحدٍ منهم أقل من العام الواحد)، وقد أثر ذلك على الحركة العلمية ؛ فوجود خلخلة في نظام الحكم تؤدي إلى انتشار الفساد ومن ذلك السطو على الأوقاف، وربما هدمت بعض المدارس لدواعي ضبط الأمن كما حصل مع مدرسة الأشرف شعبان بن حسين .

وأشار عمار النهار (٢٠١١) إلى المكانة العالمية المرموقة لمصر وبلاد الشام كمركز تجاري هام يربط بين الشرق والغرب مما أسهم في زيادة ثروة الدولة المملوكية، وقد انعكس ذلك على النشاط التعليمي ؛ فقد اهتم المماليك بنشر العلم ودوره، وإعادة القوة العلمية للعالم الإسلامي بعد نكبة سقوط بغداد ؛

فقد كثر العلماء وزادت المؤلفات . كما تميزت دولة المماليك بكثرة الأوقاف على المؤسسات التعليمية كالمساجد والجوامع والمدارس ودور الصوفية . كما أشار إلى أن النظام التعليمي بالرغم من قوته وكثرة المؤسسات الرسمية والأهلية فيه إلا أنه لم توجد سياسة تعليمية واضحة، وإنما يخضع النظام التعليمي للظروف السياسية والدينية ؛ فإذا قتل أو حبس أحد السلاطين أثر ذلك على المدارس والمؤسسات التعليمية التي بناها، ويبقى الدور الكبير في النهضة العلمية في عصر المماليك يعود للأوقاف وكثرتها وتنوعها . أشار الباحث إلى نماذج من المدارس التي ازدهرت بفضل ما حُبس لها من أوقاف في بلاد الشام كالمدرسة الخيضرية التي أنشأها محمد الخيضري سنة ٧٨٧هـوأوقف عليها أوقافا كثيرة، ودار القرآن الصابونية في دمشق التي أنشأها أحمد بن علم الدين الصابوني سنة ٨٦٨هـ وشرط إقراء القرآن كل ثلاثة أشهر، كما ألحق بها مكتبا لتدريس الأيتام، وخانقاه اليونسية التي بناها يونس الدوادار الظاهر برقوق سنة ٨٧٤هـ . كما أشار إلى ظاهرة وقف الدمشقيين بيوتهم كمدارس بعد موتهم، وخلص إلى أن الوقف التعليمي قد ازدهر نتيجة للازدهار الاقتصادي ووفرة المال عند الدولة وعند عامة الناس إضافة للعامل الديني وهو ابتغاء الأجر المتواصل العائد للواقف بعد موته .

وتحدث أحمد حطيط (٢٠٠٤) عن بداية انتشار المدارس بمدينة دمشق في العصر الأيوبي على يد السلطان نور الدين زنكي، وأن المماليك استمروا على هذا النهج، ثم تحدث عن المؤسسات التعليمية في دمشق وتاريخ إنشائها، وأولها دار الحديث الرشائية سنة ٤٠٠هـ وأن معظم المدارس في الفقه على أحد المذهبين الشافعي والحنفي أما المدارس الخاصة بالمالكية والحنابلة فهي قليلة فقد بلغت في أواخر عهد المماليك ١٣٠ مدرسة منها : ٦٣

للشـافعية، وَ ٥٢ للأحنـاف، و ١١ للحنابلـة و ٤ للمالكيـة و ٣ للطـب و٧ لإقراء القرآن الكريم . كما تحدث عن الكتاتيب في دمشق وذكر أنها نوعـان : الأهليـة (الخاصـة) ويـتم التعلـيم مقابـل أجـر يدفعـه المتعلم أو ولـي أمـره، والعامـة وهـي الـتي ينفـق عليهـا مـن الأوقـاف وأشـار إلى مؤسسـات التعلـيم الأخرى كالخوانق والزوايا والأربطة . وتحدث عن مستويات التعليم فـذكر أن هنـاك مسـتويين مـن التعلـيم : مـا يـوازي التعلـيم الابتـدائي (الكتاتيـب)، والتعليم العالي (المدارس) . أما المناهج فقد أشار إلى أن المدارس التابعة لكل مـذهب تتخصـص في تـدريس كتـب الفقـه علـى المـذهب، وأشـار إلى تـدخل الدولة أحيانا في النظام التعليمي لمصلحة يرونها، ومن ذلك منع السلاطين من تدريس الفلسفة، وأشار إلى تخصص العلماء فـذكر أن هنـاك مـن المعلمـين مـن يكون موسوعياً يدرِّس في أكثر من علم، وهناك علماء يكونـون أكثر تخصصـا بحيث يشترك أكثر من معلم في تدريس منهج واحد، أما طرق التـدريس فـذكر ثلاث طـرق رئيسـة : الأولى : طريقـة الإمـلاء بحيـث يمـلي الشـيخ مـن ذاكرتـه المادة العلمية وقد يستوقفه الطلاب للاستفسار عن ما يشـكل عليهم، والثانيـة : طريقـة الإلقـاء، والثالثـة : المنـاظرة بـين اثنين مـن العلمـاء وغالبـا تكـون في المسائل الخلافية، أمـا مواقيـت الدراسـة فغالبـا تكـون خمسـة أيـام في الأسـبوع بحيث يكون يومي الثلاثاء والجمعة إجازة . أما الإجازة السنوية فعادة تكـون في شهري شعبان ورمضان، والعيدين، وعشرة الأيـام الأولى مـن شـهري شـوال وذي الحجة، والتاسـع والعاشـر مـن محـرم . كمـا ذكـر أن المعلمـين في المـدارس على ثلاث مراتب : الشيخ، والمدرس، والمعيـد . أمـا مـن الناحيـة الاقتصـادية فمعلم الكتاب يكون قليل الدخل أقرب إلى الفقـر والفاقـة . أمـا شـيخ المدرسـة فيكون ذو دخل عالٍ ومكانة اجتماعية مرموقة . وتحدث عـن تعليـم المـرأة فقـد

حظيت بمكانة اجتماعية عالية، وذكر مجموعة من العالمات المتمكنات اللواتي أسهمن بنشاط علمي متميز في الفقه والحديث وعلوم القرآن، وتلقى العلم على أيديهن بعض العلماء الذين اشتهروا بعد ذلك، ومنهن : فاطمة بنت الشيخ جمال الدين سليمان الأنصاري (ت. ٧٠٨ هـ) التي امتلكت ثروة عظيمة مكنتها من القيام بكثير من أعمال البر، وإنشاء عدد من المدارس والبيمارستانات، ورتبت لها أوقافاً، وتتلمذ عليها بعض كبار علماء العصر، كصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، وحبيبة بنت محمد بن قدامة المقدسي شيخة الحديث (ت. ٧١٣ هـ). استقى منها الشيخ شرف الدين الدمياطي الكثير من رواياته. وحكيمة بنت محمود بن محمد قارئة القرآن الكريم، والشيخة عائشة بنت إبراهيم بن صدِّيق، زوجة الحافظ جمال الدين المزي .

العلاقة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية :

تحدثت الدراسات السابقة عن أبرز معالم النظام التعليمي في كل من وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام في القرن العاشر الهجري وما قبله من زاوية التاريخ البحت، وهذه الدراسة تأتي كلبنة في بناء العلم في هذا المجال وتتناول جانباً دقيقاً وهو العلاقة بين النظامين من زاوية تربوية تعليمية ؛ فبلاد الشام بتاريخها وسمعتها وعلمائها ومدارسها ومكتباتها كانت قبلة لطلاب العلم الرواد من وسط الجزيرة العربية الذين تحمَّلوا كثيرا من المشاق بما لديهم من حماسة وصبر ورغبة شديدة في تحصيل العلم ..هذه العلاقة كانت عملية تعليمية رائعة تلاقحت فيها العقول وتولد عنها انتقال مركز القوة لمذهب الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - من بلاد الشام إلى وسط الجزيرة العربية، وتولد عنها قيام حركة التجديد الإصلاحية في القرن الثاني عشر .

نتائج الدراسة، والإجابة عن أسئلتها :

بعد هذه النبذة التمهيدية عن الواقع الاجتماعي والسياسي لكل من بلاد الشام ووسط الجزيرة العربية فقد آن الأوان للحديث عن الجزء المهم في الدراسة وهو التعرف على جوانب القوة والضعف واقع النظام التعليمي في بلاد الشام، والنظام التعليمي في وسط الجزيرة العربية، يلي ذلك إبراز جوانب العلاقة بين النظامين التعليميين، ثم سبل الإفادة من جوانب القوة والضعف، وجوانب العلاقة التعليمية .

أبرز جوانب القوة والضعف في نظامي التعليم في الشام ووسط الجزيرة العربية :

إن بيان أوجه القوة والضعف في النظام التعليمي تعد خطوة مهمة في إبراز الدروس المستفادة من دراسة تاريخ النظم التعليمية ، وفيما يلي عرض لجوانب القوة والضعف في نظام التعليم في الشام، ثم نظام التعليم في وسط الجزيرة العربية :

أولا : جوانب القوة والضعف في نظام التعليم في بلاد الشام :

يمتاز النظام التعليمي في بلاد الشام وحاضرته الأساسية الكبرى مدينة دمشق في القرن العاشر الهجري بتقسيمه حسب المذاهب ؛ بمعنى أن كل مذهب له نظامه المستقل ابتداء من العلماء إلى المدارس والمساجد، ومصادر التمويل التي قد تكون معونات من قبل السلاطين والولاة أو أوقاف خاصة لتلك المدارس والمساجد .

جوانب القوة :

أ.كثرة المدارس وتنوعها :

حفلت مدينة دمشق بعشرات المدارس التي امتازت بالتخصص ؛ فهناك مدارس متخصصة للقرآن الكريم وعلومه، وهناك مدارس متخصصة في

السنة النبوية وعلومها، وهناك المدارس الفقهية الخاصة لكل مذهب من المذاهب الأربعة، وهناك مدارس مشتركة يكون التدريس فيها لأكثر من مذهب وهناك المدارس الخاصة بالطب، على أن المدارس الخاصة بالمذاهب لم تكن خاصة بالفقه بل يدرس فيها القرآن والحديث والعربية فقد ذكر النعيمي (١٤١٠، ج ٢، ص ٤٥٦) أن المدارس الخاصة بالحنابلة في دمشق بلغت إحدى عشرة مدرسة هي : الجوزية والجاموسية والحنبلية الشريفية والصاحبية والصدرية والضيائية المحمودية والضيائية المحاسنية والعمرية الشيخية والعالمة والمسمارية والمنجائية.

وفيما يلي تعريف موجز بأشهر وأهم تلك المدارس :

١. المدرسة الحنبلية الشريفية :

هي أولى مدارس الحنابلة في مدينة دمشق . واقفها هو شرف الإسلام عبدالوهاب بن أبي الفرج الشيرازي (ت ٥٣٦ هـ)، وقد تحققت لها مكانة علمية متميزة وشهرة واسعة ؛ فممن درّس فيها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، وكان ذلك في سنة ٧١٧هـ .

٢. المدرسة الجوزية :

واقفها هو محي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي (ت ٦٥٦هـ)، وكان إنشاؤها بعد سنة ٦٣٠هـ . ويمكن اعتبارها المدرسة الرسمية للحنابلة في دمشق لحسن تصميمها ومناسبة موقعها في وسط دمشق ؛ حيث أن قاضي الحنابلة بعد تعيينه من قبل السلطان المملوكي في القاهرة يباشر عمله فيها فهي دار للقضاء، فالتعليم والقضاء بينهما تداخل كبير وتكامل وقاضي القضاة له الإشراف العام على أوقاف المدارس . وإليها ينسب الإمام شمس الدين محمد بن القيم فقد كان والده قيماً على هذه المدرسة .

٣. المدرسة العمرية الشيخية :

بناها وأوقفها أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - رحمه الله - (ت ٦٠٧هـ) . وهي وقف على تعليم القرآن الكريم والفقه، وقد حفظ القرآن فيها أعداد غفيرة، قال ابن عبدالهادي "هذه المدرسة عظيمة لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها " . وقد حُبس لها من الأوقاف الشيء الكثير حتى كانت محط أنظار طلبة العلم من شتى البلدان والأقطار، وقد كان فيها سكنا للطلاب المغتربين مع تحمل تكاليف السكن والدراسة. ومن أشهر من درّس فيها في القرن العاشر محمد بن طولون الحنفي - رحمه الله تعالى - الذي صرح بسعادته لفتحها للمذاهب، وقال عنها : "كان التدريس وقراءة القرآن مستمرة ليلاً ونهاراً حتى أن الأمير منجك يرسل من يتفقد المدرسة في الليل والنهار ولم يتفق له أن وجد الدروس متوقفة، وكان فيها حلقتان لتلاوة القرآن تسمى السُبُع يختم في كل حلقة القرآن كل أسبوع " .

٤. المدرسة الضيائية المحمدية :

أنشأها ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي (ت ٦٤٣هـ)، وقفها على الحنابلة من أهل الحديث والفقهاء، كما أوقف لها مجموعة من الكتب بخطه - رحمه الله -، وكان من اشتراطات واقفها أن يكون بها قسما لتعليم الصبيان .

ب . غزارة المناهج الدراسية وتنوعها في معظم مجالات المعرفة :

تنوعت المناهج الدراسية في مدارس الحنابلة بمدينة دمشق، ومن أبرزها :

١. القرآن الكريم : من خلال تتبع سير العلماء والعلوم التي تأهلوا بها في القرن العاشر بدمشق يلحظ الباحث اهتماما واضحا بحفظ القرآن الكريم، وكثير من علماء العصر بدءوا بحفظ القرآن، وقد أشار الغزي (١٤١٨ه) إلى

أن الإمام الشويكي حفظ القرآن ، وحسن بن المرادي الحنبلي، وحسن بن سليمان الأسطواني، وخليل بن خليل الفراديسي، وعبدالقادر الرجيحي، كما ذكر ابن دهيش (١٤٢١هـ) منهم علي بن محمد بن عبدالحميد البغدادي، وأحمد بن عبدالله العسكري، وشهاب الدين أحمد بن أحمد الشويكي، أما ابن طولون (د. ت، ص ٥٩٣) فذكر ممن تخصص في القرآن وعلومه : محمد بن رزيق المقدسي، ومحمد بن الملاح، ومحمد الوراق الصالحي ، محمد بن يوسف النابلسي ، محمد بن أحمد الكناني .

٢. التفسير : ومن أشهر من تخصص فيه أبو بكر الذباح فقد درس تفسير البيضاوي كما ذكر الغزي (١٤٠٢هـ ص ١٤٩) .

٣.الحديث وعلومه : نظرا لطبيعة مذهب الإمام أحمد التي ترتبط بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة، فمن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بدراسة الحديث وعلومه ورجاله، وقد أشار الغزي (١٤٠٢هـ) إلى اهتمام الحنابلة في دمشق بالحديث قائلا " إن علماء فطاحل اشتهروا بين الحنابلة في الحديث والرواية، ويؤكد هذا انتشار مدارس للحديث خاصة في دمشق والصالحية، وأدخلوا على هذا العلم اتجاهات جديدة كان لها أثر كبير في تنسيق علوم الحديث وتصنيف أبحاثه المتعددة ومن مشاهيرهم ضياء الدين المقدسي الذي أنشأ دارا للحديث في الصالحية، وجعل لها مكتبة من أضخم مكتبات عصره " ص ٩، ويقول ليدر (١٩٩٦) " كان للمقادسة دور كبير في إحياء علم الحديث والرواية - وهم على المذهب الحنبلي- وشجعوا الخاص والعام على حضور مجالس سماع الحديث " ص ١٢، وقد تخصصت طائفة من هؤلاء العلماء في فن واحد، أو أكثر " فحسين بن سليمان الأسطواني، ومحمد بن أحمد الكناني وهما قد درسا جميع كتب الحديث الستة (صحيح البخاري،

وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه) " الغزي (١٤٠٢هـ) . وهناك من اقتصر على الصحيحين للإمامين الجليلين أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري، وممن تخصص في دراستها وتدريسها كل من : محمد الوراق الصالحي ، محمد شمس الدين البرمي' وقد حظي صحيح الإمام البخاري باهتمام خاص لمكانته، ولكونه أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى . وممن تخصص فيه من علماء القرن العاشر : علي بن أحمد البغدادي ، ومن الأعراف التربوية قراءة البخاري ويخصص لها قارئ خاص بمرتب ووقف خاص له . وقد ذكر الغزي (١٤٠٢هـ) ممن تخصص في قراءته وتدريسه محمد بن عصفور الكناوي، كانت دروس صحيح البخاري عامرة وأبو الفرج عبدالرحمن بن إبراهيم الشيخ (ت ٩١٥هـ) كان يقرأ البخاري في البيوت والمساجد وجامع الحنابلة، وكان إذا ختم البخاري يحضر عنده خلائق، ومنهم عبدالوهاب العسكري الحنبلي كان يقرأ صحيح البخاري بالجامع الأموي. وكذلك صحيح الإمام مسلم بن الحجاج له اهتمام كبير ودور بارز في دروس الحديث، وممن تخصص في دراسته وقراءته كل من : إبراهيم البقاعي ' وأبو بكر الذباح . كما حظيت علوم الحديث باهتمام خاص لأنها تتضمن أصول هذا العلم . وممن تفنن فيه كل من : خطاب بن محمد الصالحي محمد بن رزيق المقدسي . كما أشار ابن دهيش (١٤٢١ ، ص٤٧٨) إلى أن كتاب الحديث لشيخ المذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - (المسند) قد لاقى اهتماما من بعض العلماء، وممن تخصص فيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله العُسكُري .

٤ .الفقه : أخذ علم الفقه الحيز الأكبر في النظام التعليمي عند الحنابلة في

بلاد الشام، وسيتم عرض أهم الكتب التي أُلِّفت كمقررات ومناهج تدريسية، وكانت تُدرَّس في مدارس الحنابلة في القرن العاشر - حسب تقدم تأليف المرجع- :

أ. مختصر الخرقي : ومؤلفه أبو القاسم عمر بن حسين الخرقي (ت ٣٣٤هـ) من أقدم المؤلفات في فقه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - ؛ ومؤلفه من تلاميذ عبدالله وصالح ابني الإمام أحمد . خشي على المسائل من التفرق والضياع فعمل على جمعها مرتبة على أبواب الفقه المعروفة وأولها الطهارة . والغرض من التأليف غرض تعليمي فقد صرح بذلك قائلا في أول الكتاب : " اختصرت هذا الكتاب على مذهب الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني -رضي الله عنه - ليقرب على متعلمه" الخرقي (١٤١٣هـ، ص ١٠) ومن قوله اختصرت هذا الكتاب سمي مختصر الخرقي، ويسمى أيضا متن الخرقي ونظرا لكونه أصل في فقه الإمام أحمد وذو غرض تعليمي، ولوضوح عبارته واقتصاره على المسائل دون توسع فقد حظي بالاهتمام على مر العصور . وقد أشار الغزي (١٤٠٢) إلى مجموعة من أهم العلماء الذين اشغلوا به تعلُّماً وتعليما أبو بكر الذباح، ومحمد الوراق الصالحي، ومحمد بن يوسف النابلسي، وشهاب الدين أحمد بن أحمد الشويكي ، ومحمد بن عمر الدورسي ، ومحمد بن غيث العجلوني .

أ.المقنع : يقول إسماعيل (١٤٢٦هـ) " لموفق الدين بن قدامة - رحمه الله تعالى - أربعة كتب في الفقه لأربع مستويات : العمدة للمبتدئين اقتصر فيه على القول المعتمد في المذهب، والمقنع للمتوسطين أطلق في كثير من مسائله روايتين ليتدرب الطالب على ترجيح الروايات فيتربى فيه الميل إلى الدليل .، والكافي وهو أوسع من المقنع ذكر فيه من الأدلة مايؤهل الطلبة للعمل

بالدليل، وختمها بالمغني وهو شرح لمختصر الخرقي المتقدم ذكره ذكر فيه المذاهب وأدلتها وهو للمفتين والمجتهدين فالسلسة فقهية تعليمية . والمقنع هو المستوى الثاني منها يوضح المؤلف غرضه من تأليفه قائلا : هذا كتاب في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل اجتهدت في جمعه وترتيبه، وإيجازه وتقريبه وسطا بين القصير والطويل وجامعاً لأكثر الأحكام عرية عن الدليل والتعليل ليكثر علمه ويقل حجمه، ويسهل حفظه وفهمه ويكون مقنعاً لحافظيه نافعاً للناظر فيه" ص ٢٢ . وهو من أكثر مصادر الفقه الحنبلي قبولا ورواجا عند العلماء والطلاب، ومن العلماء الذين اشتغلوا به تعلُّما، وتعليما : شهاب الدين أحمد بن محمد الشويكي، وجمال الدين يوسف بن حسن المبرد الشهير بابن عبدالهادي (ت ٩٠٩هـ)، ومحمد بن رزيق المقدسي (ت ٩٠٠هـ)، ومحمد بن أحمد أبو السعادات الفاكهي (٩٩٢هـ)، وموسى بن أحمد الكناني (ت ٩٢٦هـ) .

جـ. المغني : لابن قدامة وهو الكتاب الموسوعي الذي سبقت الإشارة إليه : وهو مناسب للتنمية المهنية للعلماء والقضاة وليس مقررا دراسيا . إلا أن بعض ذوي الهمم العالية من اشتغل به تعلما وتعليما ومنهم : علي بن أحمد البغدادي . الغزي (١٤٠٢هـ، ج ٣، ص ١٦٢)

د. الوجيز في فقه الحنابلة : لمؤلفه الحسين بن يوسف السري الدجيلي (ت ٧٣٢هـ)، قال عنه مؤلفه (١٤٢٥هـ) وهو كتاب جامع للروايات الراجحة المنصوصة عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - وممن درسه علي بن محمد بن عبدالحميد البغدادي ، ومحمد بن محمد بن أبي بكر السدرشي

هـ.المحرر: للمجد ابن تيمية : وهو مرجع تعليمي أراد مؤلفه أن يكون مادة علمية دراسية لطلاب الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . يقول في

مقدمته (١٤٢٨هـ) " فهذا كتاب في الفقه على مذهب الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - رضي الله عنه - هذبته مختصراً، ورتبته محرراً، حاويا لأكثر أصول المسائل، خاليا من العلل والدلائل، واجتهدت في إيجاز لفظه تيسيرا على طلاب حفظه" ص ٢٥ . وهو منهج يتمشى مع فلسفة التعليم الغالبة، التي تنظر للمنهج كمحور للعملية التعليمية، كما يتأثر بجانب آخر من فلسفة التعليم التي كانت سائدة التي تركز على الحفظ . وقد ذكر الغزي (١٤٠٢هـ) أن ممن اشتغل به تعلما وتعليما شهاب الدين أحمد الشويكي، وخليل بن خليل الفراديسي .

٥. الفرائض : اهتم بهذا العلم مجموعة من العلماء منهم : أحمد البغدادي محمد بن أحمد الشويكي، محمد شمس الدين البرمي .

٦. النحو : تنوعت كتب النحو التي لاقت اهتماما ودراسة وتدريسا ، ومنها :

أ. ألفية ابن مالك : في النحو، وهي منظومة على أبواب النحو والصرف تسهيلا لحفظها ، وممن اعتنى بها موسى بن أحمد الكناني .

ب. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : وهو شرح لألفية بن مالك في النحو، وقد كان غرضه شرح الألفية نظرا لإيجازها الشديد، وغرضه تعليمي وهو تقريب مضمونها للطلاب يقول: "فإن كتاب الخلاصة الألفية في علم العربية نظم الإمام العلامة جمال الدين أبي عبدالله محمد بن مالك الطائي كتاب صغر حجما وغزر علما غير أنه لإفراط الإيجاز قد كاد يعد من جملة الألغاز، وقد أسعفت طالبيه بمختصر يدانيه، وتوضيح يسايره ويباريه وأُعذب به موارده وأعقل شوارده " ابن هشام (ج١ ص ١٠)، وممن اشتغل به شهاب الدين أحمد الشويكي.

جـ. الآجرومية : وهي من المتون المختصرة في النحو والمؤلف محمد بن محمد الصنهاجي لم يذكر الغرض منها لكن اختصارها يدل على أن الغرض تسهيل حفظها للطلاب ، وهي من أهم المتون المختصرة في النحو وقد شرحها كثير من العلماء، ومن أبرز العلماء عناية بها علي بن أحمد البغدادي.

د. ملحة الإعراب : لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري، وهي منظومة تسهيلا لحفظها وذكر ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت.) ممن اعتنى بها محمد بن رزيق المقدسي محمد بن يوسف النابلسي، شهاب الدين أحمد الشويكي.

٧. علم المعاني والبيان والعروض : وقد تخصص فيها محمد شمس الدين البرمي.

٨. علم الحساب : تخصص فيه محمد بن أحمد الشويكي.

٩. علم المنطق : وبرز فيه محمد شمس الدين البرمي .

لقد تميزت المدارس بكثرة المعلمين والطلاب، والمرونة في سير العملية الدراسية، ومن الطبيعي أن يكون للمدرسة جدول دراسي أسبوعي، وقد ذكر ابن طولون (١٤٠١هـ) جدول المدرسة العمرية في إحدى الفترات في هذا القرن " يوم السبت يدرس تقي الدين الجراعي، ويوم الأحد والأربعاء القاضي برهان الدين بن مفلح، ويوم الاثنين والخميس القاضي علاء الدين المرداوي، ويوم الثلاثاء الشيخ يوسف المرداوي، ثم صار بعدهم السبت لشهاب الدين العسكري، ويوم الأحد نجم الدين ولد القاضي برهان الدين، واستناب في ذلك الشيخ علي البغدادي، ثم بعده شهاب الدين العسكري، ويوم الثلاثاء صار إلي، ويوم الاثنين للشيخ يوسف الكفرسبي، ويوم الخميس للشيخ تقي الدين العجلوني " ج١ ص ٢٥٩، ومنه يتضح أن المعلم

هو محور العملية التعليمية . لكن المنهج الدراسي لدى الحنابلة في بلاد الشام يكاد يخلو من تدريس العقيدة، فلم يعثر الباحث على أحد من العلماء في القرن العاشر كان له اهتمام بتعلم وتعليم العقيدة الإسلامية الصحيحة الشاملة لأنواع التوحيد .

جـ . شمولية النظام التعليمي :

كان التعليم - قبل قيام دولة الرعاية الشاملة - تعليم نخبوي يختص به أبناء الموسرين، ويتجه إليه فئات محدودة كالرواد النابهين، أو أبناء العلماء والوجهاء، ونظرا لوفرة التمويل والبيئة المناسبة فقد تطور نظام التعليم عند الحنابلة في مدينة دمشق إبان القرن العاشر وما سبقه باستهداف فئات أخرى لم تكن تحظى بالرعاية من قبل كالمرأة والطفل والأيتام، وذوي الحاجات الخاصة، والمساجين :

١. تعليم المرأة :

اهتم علماء الحنابلة بتعليم النساء القراءة والكتابة و حفظ القرآن ومعرفة الأحكام الشرعي التي تحتاج إليها . يقول محمد دهمان في مقدمة كتاب القلائد الجوهرية (١٤٠١هـ) " وأثّروا أيضا- يتحدث عن الحنابلة - في نهضة المرأة العلمية، فقد أحضروها حلقات العلم، ومجالس الحديث فنشأ في الصالحية ثم في دمشق حركة نسائية ثقافية كان جل العالمات من الحنابلة " ج١ ص ١٠ ، ولذلك برز مجموعة من العالمات بلغن درجة المشيخة والتخصص بعلم الحديث والرواية والتصدر للإقراء ونشر العلم . وذكر ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت.) أنه قد " برز بعض النساء العالمات منهن : الشيخة المسندة المعمرة عائشة العمرية الصالحية الحنبلية (ت ٩٠٦هـ)، والشيخة عائشة بنت زريق الصالحية الحنبلية (ت ٩٩١هـ)، وأمة الخالق المعمرة الشيخة المسندة أم

الخير الدمشقية، كانت عالمة بالحديث حتى قال العلماء نزل أهل الأرض درجة في رواية البخاري بموتها" ج٢ ص ٧٨٦ .كانت المرأة حرصا على خصوصيتها تقوم بالتدريس في منزلها . كما تشارك المرأة في بعض الطرق التدريسية الجماعية (التدريس بالفريق) التي يشترك فيها مجموعة من العلماء والعالمات، وعادة تعقد دروسه في المسجد أو أحد المدارس الكبرى .

٢. تعليم الطفل :

نال الأطفال الصغار مكانة بارزة من الاهتمام في نظام التعليم عند الحنابلة، وكان يخصص لهم أجنحة خاصة ضمن مدارس الحنابلة أو مساجدها، وقد بدأ كثير من العلماء حياته من خلال تدريس الأطفال ثم ترقّى ؛ فقد ذكر ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت) أن محمد بن عبدالرحمن بن الملاح (ت ٩٠٩هـ) قد عمل فترة في تعليم الأطفال في مسجد أبي شعر ومحمد شمس الدين العجلوني (ت ٩١١هـ) كان معلما للأطفال أيضاً. وكما ذكر ابن العماد (١٤٠٦هـ) أن زين الدين أبو الفرج (ت ٩١٥هـ) كان يقرئ الأطفال في مكتب مسجد ناصر الدين.

٣. تعليم أصحاب الظروف الخاصة :

وهم الفئات من السكان التي لها ظروف خاصة تمنعها من الحركة والتنقل أو تحمل تكاليف التفرغ للعلم، كالأيتام ومن في حكمهم، ومكفوفي البصر، والسجناء . إيمانا من القائمين على التعليم بأنه حق إنساني عام، ولأن أصحاب الظروف الخاصة لهم الحق مثل غيرهم، وربما أكثر لحاجتهم للدعم المعنوي وإظهار الاهتمام بهم فقد شمل نظام التعليم كل هذه الفئات . يقولون ابن طولون (١٤٠١هـ) في معرض حديثه عن المدرسة العمرية "وبها شيخ لتلقين الأضرَّاء (المكفوفين) والأطفال " . ذكر ابن طولون وابن عبدالهادي (

د.ت) في ترجمة محمد بن عصفور الكناوي أنه : تولى تأديب الأيتام بمكتب الزيني عمر بن منجك ، وأن صالح بن محمد الشهير بالسجان كان معلم السجن بباب البريد .

د. وفرة التمويل :

للنظام التعليمي مصارف متنوعة تحتاج إلى تغذيته باستمرار ليقوم برسالته المطلوبة . ومن ذلك مثلا إنشاء المباني المدرسية، وصيانتها، ومرتبات المعلمين حتى يتفرغوا للتعليم والبحث والتأليف، وكذلك والموظفون الذين يقدمون خدمات إدارية في المدرسة، وتكوين المكتبة وتزويدها بالجديد من الكتب، والإنفاق على الطلاب حتى يتفرغوا للتعلم ولا ينشغلوا بطلب المعيشة، وإذا كانت المؤسسة التعليمية تقدم خدمات السكن والإقامة فهناك مصروفات إضافية كثيرة . وهذا يعني ضرورة وجود مورد ثابت للمؤسسة التعليمية لتقوم برسالتها . ويقدم الولاة والسلاطين دعماً ماليا لبعض المدارس، ولكن لاتلتزم الدولة ماليا للمدارس مما يتطلب وجود مصادر ثابتة لذلك . لقد قام الوقف باقتدار بهذه المهمة، فمن المتعارف عليها أن المدارس هي أساسا جزء من الوقف وجميع مدارس الحنابلة التي وجدت في القرن العاشر وما قبله هي مدارس وقفية . ونظرا لأن المدارس تحتاج إلى مصارف مالية مستديمة، ولوجود توعية وحث وتشجيع للمقتدرين على وقف ما يستطيعون فكثرت العقارات الموقوفة للمدارس من بيوت ودكاكين أو مزارع وأحيانا تكون قرى بكاملها خاصة أن الناس على ثقة كبيرة بمن يتولى نظارة الوقف بحسن الإدارة وبالتصرف حسب شرط الواقف، ونظرا لكثرة هذه الأوقاف وسدها لمجالات كبيرة من مصارف المدرسة فقد أبدع الواقفون في حبس أوقافهم على مصارف كمالية تكريماً للعلم وطلابه ومعلميه .

كانت المدرسة العمرية جامعة للعلوم الإسلامية نمت وكبرت وزادت أوقافها، ولثقة الناس في القائمين عليها أصبح الواقفون لها في زيادة سنوية مستمرة كما يذكر ابن طولون (١٤٠١هـ) فلها خبز يفرّق كل يوم ألف رغيف أو نحو ذلك، ولكل طالب مقيم بشت وفروة سنويا، ووقف لتوزيع الحلوى كل شهر وزبيب وقضامة (مكسرات) كل ليلة جمعة، ووقف لختان من لم يختن من طلابها، بل طالت الأوقاف جيران المدرسة لحق الجوار ولأنهم قد يتحملون بعض الأذى من كثرة حركة منسوبي المدرسة فلهم وقف لحُصُر بيوتهم، وصابون وكعك ومشبّك (نوع من الحلوى) ليلة العشرين من رمضان، ثم توسع فيه حتى صار معظم أهل الصالحية يغتسلون فيه .

كما أن بعض العلماء كانوا يشتغلون بحرف يتكسبون منها، ويكون تعليمهم احتسابا يبتغى فيه وجه الله، أو يكون العبث في الوقف قد بلغ مداه وتوقف الصرف على المعلمين فيقوم المعلم المحتسب بعمله تطوعا بوقته وجهده ؛ فقد ذكر الغزي (١٤٠٢هـ) أن أحمد بن زيد الموصلي (ت ٩٧٠ه) كان بارعاً في التفسير والوعظ، وهو شيخ في العربية يقرئ الناس وهو بصناعة الحياكة بحانوته، وموسى بن موسى النابلسي كان دلَّالا للكتب .

هـ . تنوع الوظائف في النظام التعليمي :

لقد اتسع النظام التعليمي في بلاد الشام وكثر المنتسبين له فمن الطبيعي أن تتنوع الوظائف الخدمية التي يحتاجها النظام ، وزادت الحاجة إلى بعض الوظائف التخصصية الدقيقة منها وظائف فنية (إدارية ومالية)، وقد أشار ابن مماتي (١٤١١هـ)، وابن طولون (١٤٠١هـ)، ودهمان (١٤١٠هـ) إلى وظائف تعليمية ووظائف عملية ووظائف علمية ومنها :

١. الوظائف الفنية : تحتاج المدرسة إلى مجموعة من الوظائف الفنية (الإدارية والمالية)، وإذا كانت المدرسة كبيرة يمكن أن توجد بها كل الوظائف، أو تدمج وظيفتين تحت موظف واحد، وأحيانا يكون للموظف نائب يساعده في تسيير عمله إن كان كثيرا، ومن أهم الوظائف الفنية:

كاتب الغيبة: وتكون مهمته تسجيل أسماء الغائبين في مجالس العلم، وإذا قُرِئ الكتاب على الشيخ، وتغيب أحد السامعين يُكتب فاتَه من باب كذا إلى باب كذا .

المُشَارفة: والمشارف من يتولى الأمور المالية للوقف وصلاحياته فوق صلاحيات الناظر ، فمهمته إشرافية على الناظر حرصا على صرف أموال الوقف فيما يستحق .

الشاهد: وهو من يتأكد من سلامة الصرف من الوقف ويوقع مع الناظر على ذلك .

الناظر، ونائب الناظر : وهو من تكون بيده أموال الوقف وينظر فيها، ويتفقد تصرفاتها، وتُرفع إليه حساباتها لينظر فيها ويدققها .

أمين المكتبة ومساعديه : وهو من يتولى إدارة مكتبة المدرسة، وترتيب الكتب، ومساعدة الطلاب عند الحاجة في الدلالة على مظان المعلومات، ويكتب للناظر عند وجود حاجة للتزويد ببعض المصادر .

٢. وظائف تعليمية : ويقصد بها الوظائف التي يتولى التعليم مباشرة، وهم يختلفون حسب المستويات وحسب التخصص، ومن أهمها :

الفقاهة : وهي وظيفة يتولى صاحبها تدريس الفقه للمبتدئين من الطلاب لقاء راتب .

وتلقين القرآن : وهو من يعلِّم المبتدئين التلاوة والحفظ .

مشيخة الإقراء : يكون شيخ القراء مسؤولا عن الملقنين من حيث مراعاتهم لظروف الأطفال وعدم الشدة بهم، وأداء العمل كما ينبغي.

التدريس: وهو المعلم المعين لتدريس علما من العلوم حسب شروط الواقف .

الإعادة : المعيد يكون أحد أبرز التلاميذ علما وقِدماً في الدرس يساعد المدرس بأن يعيد الدرس مرة أخرى على الطلاب .

والإفتاء : ومهمة المفتي أن يجيب عن أسئلة العامة في عباداتهم ومعاملاتهم، وأحوالهم الشخصية، ولا تنفصل رسالته عن التعليم، فيعلم ويشرح ويفصل وينصح ويذكّر .

مشيخة الخانقاه أو الزاوية : وهما من أنواع الدور التعليمية الخاصة بنظام التعليم عند الصوفية.

وظائف عملية إضافية : نظراً لكبر حجم بعض المدارس، وكثرة طلابها والدروس العلمية فيها أصبحت كمدن جامعية : يوجد فيها مسجد، ومساكن، ومكتبة فتحتاج إلى وظائف دقيقة كالإمامة، والخطابة، وقراءة القرآن : كثير من مساجد المدارس فيها حلقات تلاوة تعقد في أوقات مختلفة من اليوم، وفي معظم أيام الأسبوع، وعلى سبيل المثال المدرسة العمرية كبرى مدارس الحنابلة كانت قراءة القرآن مستمرة ليلاً ونهاراً حتى أن أحد الولاة كان يرسل من يتفقد المدرسة في الليل والنهار ولم يتفق له أن وجد الدروس متوقفة، فقد كان فيها حلقتان لتلاوة القرآن تسمى السُبُع يختم في كل حلقة منهما القرآن كل أسبوع .

و. التدريس بالفريق طريقة التدريس الإبداعية عند العلماء الحنابلة في بلاد الشام :

تعد طريقة التدريس بالفريق من الطرق المتميزة لما يكون فيها من إثراء وتكامل بين المعلمين الذين يشتركون فيها، إضافة للحيوية والتنويع، وعدم الإجهاد، وعرفها القيسي (٢٠٠٨) بأنها : " تعاون عدد من المدرسين أو التربويين في تدريس مساق أو موضوع معين للمستوى الدراسي نفسه " . بلغ النظام التعليمي في بلاد الشام من القوة والمنعة ورقي العلاقة بين المعلمين، والحرص على تنشيط الهمم، ونتيجة للخبرة في التدريس هذه الطريقة الجماعية في التدريس (التدريس بالفريق)، تتمثل في أن يتفق بعض العلماء على الاشتراك في درس واحد، فيحضرون جميعا ثم تتم عملية التدريس، وقد حفلت وثائق تدوين سماعات (وهي سجلات موثقة لكل ما يجري في الدرس) تشتمل على مكان وزمان الدرس وموضوعه، وأسماء المعلمين، وسندهم في أخذ هذا العلم بالتفصيل إن كانوا متفقين في الأخذ عن شيخ واحد أجمل السند، وإن كان هناك اختلاف فيذكر مفصلا، ثم يذكر الشيخ القارئ للدرس، ثم أسماء جميع من حضر الدرس حتى الأطفال الذين تبين أعمارهم كأن يقال في الرابعة، أو الخامسة من العمر، ويذكر اسم الطالب الذي كتب هذا السماع في أخذ هذا العلم بالتفصيل، ثم يتم التعليق عليه من العلماء الموجودين أو بعضهم . كما يجيبون عن أسئلة الطلاب، ثم يصرِّح الكاتب بصحة ذلك وإثباته بذكر التاريخ، ومكان الدرس، ويصرح بإجازة كل العلماء (فريق التدريس) لكل هؤلاء الطلاب، ويختم السماع بالحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وعادة تكون في أحد المساجد وقد تشترك أحيانا بعض العالمات في هذا اللون من التدريس، ويشير الحافظ (١٤٢٣هـ) إلى أن عدد العلماء قد يكونون اثنين وقد يصل العدد إلى واحد وعشرين عالما ، وقد يصل عدد العالمات المشتركات فقط إلى

سبع عالمات. أما عدد الطلاب الحاضرين فقد يتجاوز المائة ، تدون أسماؤهم كاملة . وهذا النوع عادة يكون في أحد المساجد . كما أورد الحافظ (١٤٢٣هـ) نموذج لإحدى السماعات لدرس جماعي : " سماع على عشرة شيوخ وشيخات لحديث آدم بن إياس العسقلاني المتوفى سنة ٢٢١هـ . رواية إسحاق بن إسماعيل الرملي نزيل أصبهان، في الجامع المظفري بتاريخ الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة ٧٢١هـ . سمع جميع هذا الجزء وهو حديث آدم ابن أبي إياس العسقلاني على المشايخ العشرة : الإمام العلامة أقضى القضاة شرف الدين أبي محمد عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن الحافظ عبدالغني، والخطيب تقي الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر، ومحب الدين أبي عبدالله محمد بن المحب عبدالله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، وشمس الدين أبي عبدالله محمد بن عمر بن أحمد بن عبدالدائم، وشمس الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن مري بن ربيعة، وعماد الدين أبي بكر بن محمد بن الرضي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالجبار، وأم علي فاطمة بنت عبدالله بن عمر بن عوض المقدسيين، وشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي الهيجاء الزراد، وأبي العباس أحمد بن علي بن سعود بن ربيع الكلبي، وأم عبدالله زينب بنت الكمال أحمد بن عبدالرحيم بن عبدالواحد المقدسي .بسماع التسعة الأُوَل من خطيب مردا، وبسماع العشرة سوى ابن الرضي، وبنت عوض من محمد بن عبدالهادي، وسماع الأولين من أخيه عبدالحميد وبسماعهم من الثقفي . بقراءة الشيخ الإمام العالم الحافظ محب الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن المحب عبدالله المقدسي :

أولاده : محمـــد وأحمـــد في الثالثـــة، وخديجـــة في الرابعـــة، وأخـــواه عبدالرحمن وزينب، وأمهما فاطمة بنت أحمد .... ويستمر في تدوين أسماء الحاضرين الذين بلغ عددهم ١٠٥ .. .

وصح وثبت في يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة إحدى وسبع مائة بالجامع المظفري بسفح قاسيون، وأجازوا لهم جميع مايجوز لهم روايته، والحمد لله وحده، وصلواته على محمد"ص ٤٤٩.

وبالتأمل في هذه الطريقة نجد من المضامين التربوية :

١. الروح الجماعية بين العلماء والتعاون الرائع في العملية التعليمية : من خلال اشتراك مجموعة كبيرة منهم في درس واحد في موقف يتجلى فيه التواضع للعلم، وطلابه .

٢. زيادة حرص الطلاب على الحضور لاجتماع نخبة من العلماء فيكون الباعث على الحضور أكثر.

٣. إضفاء هيبة ومكانة للدرس العلمي، حضور عشرة علماء في درس واحد سيكون حديثا للمجتمع . وهذا مما جعل لعلماء الحنابلة في الصالحية الوهج العلمي والتميز .

٤. من خلال قراءة الدرس وأسئلة الطلاب غالبا ما ينفتح نقاش علمي في موضوع الدرس يستفيد منه الجميع .

٥. تأتي هذه الطريقة استجابة لرغبة طلاب الحديث وعلومه الذين يرغبون في أخذ الحديث من أكثر من طريق، ويكون في ذلك تيسيرا على الطلاب بجمع هذا العدد من العلماء .

وهـذا الـدرس هـو نـدوة علميـة ترفـع مـن مهـارات العلمـاء المشـاركين، ويستفيدوا من خبرات بعضهم، مما يسهم في التنمية المهنية للعلماء المشاركين في الدرس .

جوانب الضعف :

بلـغ التعلـيم في دمشـق أوج قوتـه وازدهـاره في القـرنين السـابع والثـامن الهجريين ففي القرن السابع كان نشاط آل قدامة في أوجه، يتضح ذلك في أن تلاميذ هذا العصر هم شيوخ القرن الثامن الذي خرّج فيه كوكبة من العلماء الكبار ؛ فهذا الإمام المجدد شيخ الإسلام بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، وتلميذه ابن القيم (ت ٧٥١هـ)، والحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤)، والحافظ المزي (٧٤٢هـ)، وابن رجب (ت ٧٩٥هـ)، وابن مفلح (٧٦٣هـ)، وغيرهم وفيه أنشأت معظم مدارس الحنابلة بدمشق .

إن النظم التعليمية كالكائن الحي تمر بمراحل عمرية معينة، تولد صغيرة ثم تكبر، ثم تهرم، وضعف النظام التعليمي عند الحنابلة في بلاد الشام قد بلغ أوجه في القرن العاشر، وهناك جملة من الأسباب التي ساعدت في ذلك منها أسباب تتعلق ببيئة النظام الداخلية، ومنها أسباب تتعلق بالبيئة الخارجية المحيطة بالنظام التعليمي نفسه . والنظام التعليمي من أكثر النظم انفتاحا على البيئة المحيطة فهو عامل مؤثر ومتأثر في بيئته المحيطة به ؛ فيؤثر على الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية، كما أنه يتأثر بها كذلك بل يمكن القول أن هناك امتزاج بين النظام التعليمي وهذه النظم، وتقسيم العوامل إلى داخلية وخارجية المقصود منه سهولة التشخيص، وأخذ الدروس والعبر :

الأسباب الخارجية :

١. سقوط مدينة دمشق بيد تيمورلنك : وهو أحد سلاطين المغول غزا بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ " فأنزل جنوده بأهلها أقسى العقوبات، وأضرموا النار في المنازل والمساجد ومنها جامع بني أمية، وهلك معظم سكان المدينة .. ولما غادر اصطحب معه الحرفيين والعمال المهرة وبذلك فقدت دمشق قدرتها الصناعية والاقتصادية لفترة طويلة وقتل بعض العلماء وحمل مجموعة منهم إلى سمر قند . فمن الطبيعي أن يتراجع النظام التعليمي، بل يصاب بالشلل نتيجة تهديم المساجد والمدارس وتقتيل وتشريد العلماء، والعبث بالأوقاف وسائر الأموال .

٢. الفساد السياسي عند السلاطين المماليك : شهدت السنوات الأولى من القرن العاشر تدهور الوضع السياسي في دولة المماليك تمثل ذلك في كثرة القتل والعزل والانقلابات على السلطان الحاكم، ولاشك أن ذلك يلقي بتبعات كثيرة على النظم الأخرى ؛ فالناس على دين ملوكهم، لقد برز ذلك في كثرة التولية والعزل للقضاة بما في ذلك قضاة المذهب الذين هم جزء من النظام التعليمي . ذكر ابن طولون (١٤٠١هـ) أن "نجم الدين ابن مفلح(ت ٩١٩هـ) عُزِل من وظيفته مرارا، ثم يعاد إليها، ومارس الدور على من تحت ولايته فعزل غالب الحنابلة عن وظائفهم، فمُقِت ولم تحمد سيرته" ج٢ ص ٧٢٨.

٣. تولي الوظائف الكبرى في النظام التعليمي من قبل أفراد غير مناسبين لها : وعلى رأس ذلك القضاء ؛ فإضافة إلى كونه هو الوظيفة التي تتولى نشر العدالة في المجتمع فإنه يحظى بقداسة تستمد من رسالة القضاء، ووظيفته في الإسلام، وقد شاع في هذا القرن العاشر تولي القضاء من ليس أهلا له خاصة من أبناء الأسر العلمية، الذين استغلوا تاريخ أسرهم العلمية، وتتم مجاملتهم مع افتقارهم للصفات التي تؤهلهم لتولي الوظائف العامة ؛

فيستغلونها إما للوجاهة، أو لمزيد من التكسب ؛ فهذا قاضي القضاة بهاء الدين محمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي ثم المصري الحنبلي(ت ٩١٠هـ)ولي قضاء الحنابلة بالشام فلم تحمد سيرته ، ومثله نجم الدين بن مفلح (ت ٩١٩هـ)الذي سبقت الإشارة إليه وغيرهم، ونظرا لارتباط النظام التعليمي بقاضي قضاة المذهب وله صلاحيات في التعيين والعزل فقد سرى الفساد حتى وصل قاعدة الهرم .

٤. التدخل السياسي في المناهج : بالرغم من وجود قدر من استقلال النظام التعليمي عن السلطة السياسية . إلا أن ذلك لم يمنع من وجود تدخلات للسلاطين المماليك فيه وقت الحاجة فقد قصرت العمل في الفتوى والتدريس على أصحاب المذاهب الأربعة فقط، والوقوف في وجه التجديد والاجتهاد، وإعمال الذهن وتعامل من يقوم بذلك كما تعامل المتفلسفة .

٥. تقديم الدولة العثمانية للمذهب الحنفي على حساب المذاهب الأخرى : فبعد سيطرة الدولة العثمانية على الشام ومصر وتمكنها من إسقاط دولة المماليك، ونظرا لتبني الدولة العثمانية مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى - كمذهب رسمي للدولة، فقد عدلت الدولة في النظام القضائي الذي يرتبط به النظام التعليمي، لأن الفقه هو محور نشاط الحركة التعليمية وهو الغالب على المدارس والمناهج، وهو قاسم مشترك بين القضاء والتعليم الذي يتحقق به تخريج الكوادر من القضاة وهو وسيلة نشر المذهب . يقول العثيمين في تحقيقه لكتاب الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد (١٤٢١هـ) : " في فترة الحكم العثماني حول القضاء والفتوى والصدارة الدينية بصفة عامة إلى المذهب الحنفي الذي هو مذهب الدولة العلية العثمانية فحدَّ ذلك من نشاط المذاهب الأخرى " ص ٢٢٦ ' ولا شك أن ذلك مما

يشجع على رواج التعليم في المذهب الرسمي على حساب المذاهب الأخرى .

الأسباب الداخلية :

يوصف القرن التاسع بأنه قرن الاتجاه نحو الانحدار في النظم التعليمية عامة ويرتبط ذلك بالأسباب الخارجية التي بدأت تظهر آثارها في تطبيقات النظام التعليمي بدأ التدهور من القرن التاسع فلم ينبغ بالشام رجل أحدث عملا علميا عظيما أودل على نبوغ في فرع من فروع العلم، وكثر فيه الجماعون والمختصرون والشارحون، وقل الإبداع والتجديد فكأن قاطرة التعليم صارت تسير بقوة دفع القرن الماضي، وصار كثير من العلماء يراوحون بين اختصار مطولات، أو شرح مختصرات فهم في كلا الحالين يعملون كرد فعل لعمل السابقين . وقد تضافرت عدة عوامل ساهمت في تردي مستوى النظام التعليمي بشكل عام مع وجود أفراد من العلماء يتميزون بالأصالة والقوة، ومن هذه الأسباب :

١. انتشار التصوف :

هناك علاقة عكسية مطردة بين انتشار التصوف في بيئة ما وبين جمود حركة التعلم والتعليم ؛ لأن شيوخ المتصوفة يدعون الأتباع إلى التعلق بهم بدلا من الاستنارة العلمية من علوم الكتاب والسنة واجتهاد العلماء في ضوئهما، والتزود المعرفي الذي يسهم في بناء شخصية علمية ذات تفكير مستقل، يقول صادق ١٤١٥هـ) " كثير من المتصوفة يستدل على صحة الأمور اعتماداً على ما يذوقه، وما يجده في نفسه، فيبني بمجرد ذلك، ويقدمه على الكتاب والسنة، والحاصل : أن الأخذ بهذه المصادر يعني نبذ الكتاب والسنة، وطرحهما، وعدم الاحتكام إليهما، وفتح باب التلاعب في شريعة الله " ص ١٨٦ ولذلك فمن الطبيعي أن تتراجع علوم الشريعة حينما تروج

سوق التصوف، وبالرغم من كثرة اهتمام علماء الحنابلة وهم علماء منهج ابتداء من الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - وعلماء المذهب من بعده كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وغيره بالمنهجية العلمية التي ترتبط بالنصوص الشرعية وفهمها، وعدم تقديس أقوال الرجال في مقابلها. إلا أن فترة ضعف النظام التعليمي عند الحنابلة في بلاد الشام صاحبها تأثر بعض العلماء بالتصوف ؛ فحينما بدأ الضعف ابتداء من القرن التاسع انفتح باب التصوف، وزاد الطين بلة وسارع من وتيرة ضعف النظام التعليمي عند الحنابلة في بلاد الشام في القرن العاشر تأثر بعض العلماء به . يقول مصطفى (١٩٩٧) " توافق جمود المقادسة مع صعود وسيطرة التيار الصوفي في العالم الإسلامي وحلت المعارف اللدنية التي توهّم الناس وجودها لدى أقطاب التصوف ومعظمهم لم يكن لهم من العلم إلا الحظ الضئيل محل المعرفة العميقة بالدين والدراسة الحقيقية للعلم .. واجتذبت الطريقة جماهير الحنابلة تدريجيا .. حتى إذا كان آواخر القرن الثامن استطاع أبو بكر بن داود الحنبلي (ت ٨٠٦هـ) وابنه عبدالرحمن (ت ٨٥٦هـ) - وهما من علماء الحنابلة وكان لهما نفوذ في النظام التعليمي - أن يؤسسا الطريقة الداودية ... فقد استطاع أن يجعل زاويته أعظم زاويا الصالحية وأكثرها نشاطا وأوقافا وأتباعا ومريدين" ص ٨١، ولاشك أن كثرة هؤلاء المريدين هو على حساب طلاب العلم الشرعي كالحديث والتفسير والفقه . أما ابنه عبدالرحمن فقد قال عنه ابن حميد (١٤١٦هـ) : " أخذ عن أبيه التصوف، وسمع عليه مؤلفه أدب المريد والمراد، ومنه تلقن الذكر ولبس الخرقة " ج٢ ص ٤٨٠ وقد كانت له مكانة وهيبة وتولى الإشراف على أكبر مدارس الحنابلة في الصالحية ضاحية دمشق، وقد كانت موقوفة للحنابلة يقول ابن طولون(١٤٠١هـ) " في زمن

عبدالرحمن بن داود وقع بينه وبين جماعة الحنابلة فأدخل فيها المذاهب الأربعة ووقع بسبب ذلك أمور وفتن، وشق ذلك على الجماعة " ج ١ ص ٢٦١ ' كما أشار الغزي (١٤٠٢هـ) إلى بعض ممن تأثر بالتصوف من علماء الحنابلة منهم القاضي شهاب الدين أحمد التنوخي (٨٢٧- ٩٠٨هـ) كان فقيها وولي نيابة الحكم للقاضي برهان الدين بن مفلح وغيره، ثم غلب عليه جانب التصوف ، ومنهم عبدالقادر بن محمد بن محمد الشيباني (ت ٩١٠هـ) اشتغل بالعلم ثم تصوف ولبس الخرقة من جماعة منهم والده من كبار العارفين بالله ومن وجوه الصوفية ' وذكر ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت.) منهم علي بن عمر الصالحي (٨٤٠ - ٩١٨ هـ) تصوف ولبس خرقة التصوف، وجمال الدين يوسف بن عبدالهادي (١٤٠١هـ)، وهو من كبار علماء الحنابلة في مطلع القرن العاشر، وتلقى العلم على يديه بعض طلبة العلم النجديين ؛ فقد ذكر في ترجمته لشيخه أحمد بن محمد بن البعلي الحنبلي قوله ومنه لبستُ الخرقة القادرية ، وقال (١٤٣١هـ) في نصيحته للمريد : " والبس خرقة التصوف من أهلها، وقد لبسناها من جماعة " ج ٢ ص ٢٢٥ ' كما ذكر الغزي (١٤٠٢هـ) أن محي الدين ابن الرجيحي(٨٥٢ - ٩١٠ هـ) " اشتغل بالعلم، ثم تصوف ولبس الخرقة من جماعة منهم والده ... ناب في الحكم عن قاضي القضاة نجم الدين عمر بن مفلح ... وكان من كبار العارفين بالله تعالى ومن وجوه الصوفية " ص ٧٢ - ٧٣، وذكر ابن العماد(١٤١٣هـ) أن جده الأعلى الشيخ يونس شيخ الطائفة اليونسية، ومنهم أبو بكر الذباح الحنبلي (٩٠٩ _ ٩٨٥هـ) ذكر الغزي (١٤٠٢هـ) أنه " كان يكتب كتب الصوفية كالفتوحات الربانية لابن عربي له محبة كلية بالصوفية، ، وابن عربي من أكثر المتصوفة تطرفاً يقول عنه الذهبي

(١٤١٧هـ): " ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر نسأل الله العفو والنجاة ج ٢٣ ص ٤٨" . وقد تولى أبو بكر الذباح الإمامة بالمدرسة العمرية .

إن تردي حال النظام التعليمي حتى دخل فيه المنتسبون للتصوف، بل وبعض الغلاة فيه مؤشر قوي على تردي حاله، وبعده عن المنهج الذي اختطه علماء المذهب من اتباع الكتاب والسنة، والتحذير من البدع والضلالات . ولاشك أن هذا من أهم مؤشرات ضعف هذا النظام التعليمي .

٢. المحاباة في الوظائف، وتعيين غير المؤهلين :

من عوامل نجاح المؤسسات التعليمية تولي إدارتها والإشراف عليها من يكون قويا في حسن إدارته وإشرافه، أمينا على المال وعلى حسن اختيار الأكفأ في التدريس وغيره، وهذا ما افتقده النظام التعليمي عند الحنابلة في الشام خلال القرن العاشر ؛ فمن السمات العامة الظاهرة لهذا النظام العبث بالوظائف العامة ابتداء من القضاء فما دونه من الإشراف على المدارس وأوقافها والتعليم ؛ فقد تولى هذا الأمر من لا تبرأ به الذمة لضعفه، بل والفاسد الذي تعمد الاستيلاء على الأوقاف وتعطيلها، وبعضهم كان يقصد تدمير التعليم، ولذلك هوى هذا النظام بالرغم من قوة بنيته التحتية، وما يتوافر له من مكانة علمية ومادية وأدبية . والشواهد على ذلك كثيرة، فقد ابتدأ رصدها من القرن التاسع، وقد ذكر ابن طولون (١٤٠١هـ) سليمان بن نوح (٨٢٢ - ٨٨٧ هـ) "ناب في القضاء للقاضي شمس الدين بن عبادة ثم لولده وكان يعرف طرفا من الفقه والنحو والأصول والفرائض، وكان يجلس للاشتغال بالجامع الأموي، ودرّس بمدرسة أبي عمر وكان يكتب على الفتاوى ولكن في عبارته قصور، وعليه الخمول وكان دنيء النفس جدا،

وكان متساهلا في القضاء إلى الغاية القصوى كل قضية زور تروج عنده " ص ٢٥٩. منهم محمد بن محمد بن قدامة (٨٣٠ - ٩١٠ هـ)" قدم دمشق بعد عزل النجمي ابن مفلح من وظيفته مرارا، ويعاد إليها ... عزل غالب الحنابلة عن وظائفهم، فمُقت ولم تُحمد سيرته" ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت. ج ٢ ص ٧٢٨)، وممن تولى القضاء وهو ليس أهلا له " القاضي عمر بن عبدالقادر الرجيحي (٨٧٨ - ٩٥٩هـ) ناب في القضاء عن النجم بن مفلح، وكان عفيفا نظيفا متنزها عما يرتكبه نواب الزمان، إلا أنه كان عريًّاً من العلم" ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت. ج ٢ ص ٧٢٨) .

أما تقريب الأبناء والأخوة وتوليتهم المناصب فقد كانت ظاهرة خاصة في المؤسسات العلمية ذات الأوقاف العظيمة كالمدرسة العمرية ، فهذا محمد بن طولون(١٤٠١ه) يتحدث عن ما يراه الناس جهراً من تجهيز الوظائف للأقارب " كان الشيخ زيد الجراعي يجلس في المحراب والشيخ علي الجراعي إلى جنبه، ولما ماتا قعد مكان زيد ولده تقي الدين ومكان الشيخ علي الشيخ عمر العسكري فلما ماتا جلس مكان تقي الدين أخوه شهاب الدين، ومكان الشيخ عمر ولده جمال الدين وعن يسار المحراب الشيخ حسن الصفدي ثم جلس بعده شمس الدين الصفدي، وفي الخزانة الغربية جلس جمال الدين الجراعي ولد الشيخ زيد وبعده ولده موفق الدين عبدالله، والشيخ شهاب الدين يجلس في الخزانة الشرقية وبعده ولده الزين عبدالرحمن، ثم صارت لأولاده وليسوا بأهل " ج ١ ص ٢٦٣ -٢٦٤. لقد كانت سنة الله جارية على النظام التعليمي بتحوله إلى مغنم يؤكل منه على حساب سمعته ومكانته .

٣. العبث في الأوقاف :

التمويل للنظام التعليمي هو كشريان الحياة، فبناء المدارس، وتفريغ

العلماء للتعليم، وتشجيع طلاب العلم على الاستمرار فيه يحتاج إلى مصدر تمويل ثابت، وإذا كانت المدرسة كبيرة تحتاج إلى سكن داخلي، وموظفين يساعدون في الإدارة والإشراف فإن مجالات الصرف تكثر والحاجة تكون أكثر إلحاحاً، وقد اعتنى علماء الحنابلة ووجهاءهم والأمراء والسلاطين ببناء المدارس وتخصيص العقارات والمزارع وقفاً عليها كل ذلك ساعد في توفير مناخ علمي متميز ابتداء من القرن السابع، وفي القرن العاشر ظهر التدهور في النظام جليا ومن ذلك العبث بالأوقاف والاستيلاء عليها وهذا قمة الانهيار لها . فقد ذكر ابن طولون وابن عبدالهادي (د.ت.) منهم " القاضي عمر بن زيد الجراعي (٨٥٦ - ٩٤٢) استنيب بدمشق للشرف ابن مفلح ، وباع كتبا كثيرة موقوفة ج ١ ص ٥٤١ ، ولم تسلم مخصصات التعليم للأطفال اليتامى فهذا " محمد بن عصفور الكناوي (ت ٩٠٦هـ) ظلم نفسه بأخذ معاليم الأيتام ... وتعلق على قراءة البخاري وليس بأهل لها ، ولا يلتفت إلى كبر عمته وأكمامه، وتشدقه في كلامه" ج ٢ ص ٧١١، وهذا "شمس الدين محمد بن خطاب (ت ٩٩٢ه)كانت تخافه الناس حتى أكابرهم، مات رجل عن بنت كان يقال إنها تربية عنده فأثبت ابن الخطاب هو وعلي الحلبي الترجمان أنها بنته، وقام أحدهما وصيا عليها وعلى مالها، والآخر ناظرا بمعونة القاضي شمس الدين الرجيحي" الغزي (١٤٠٢هـ، ص)١٥٥، لقد وصل الحال إلى الاستيلاء على أكبر مدرسة للحنابلة في دمشق بما لها من أوقاف عظيمة يذكر محمد بن طولون أن النظر على المدرسة العمرية صار لبني زريق وهم من ولد عمر بن محمد بن قدامة (مؤسس المدرسة) فأفسدوا فيها فسادا كبيرا فأخذها الشيخ عبدالرحمن بن داود، وأصلح أمرها وثمّر وقفها، وآلت بعده للقاضي ناصر الدين بن زريق (من ذرية أبي عمر بن قدامة مؤسس

المدرسة) فوقعت فتنةٌ طَلَبَهُ على إثرها الملك الأشرف قايتباي سنة، وشدد عليه ثم لطف الله به، وقد ذكر أن ذلك بسبب مرافعة بعض مستحقي المدرسة' ويبدو أن العلاقة بينه وبين معلمي وطلاب المدرسة قد ساءت كثيرا بعد الشكوى، فكانت ردة فعله عنيفة نحوهم . يصفه ابن طولون (١٤٠١هـ "بأنه ناقص العقل فاسد النية، أفسد حال المدرسة، وباع كثيراً من أوقافها" ج١ ص ٢٦٩ . هذه بعض النماذج من الصورة القاتمة التي آل إليها النظام التعليمي للحنابلة في الشام، وهي نماذج كافية كمؤشر لتردي الوضع التعليمي .

على أن أوضح مثال على تردي التعليم وتوجيه السهام إليه من المنتسبين له هو "استمرار ناصر الدين بن زريق للكيد هذه المدرسة بمساعدة أخيه شهاب الدين أحمد، وقد نُقل عنه في حقها كلمات رديئة منها : "قصدي إخرابها وأضرب على بابها دُفاً ومزمارا، وكان يقول للأتراك : أنا عندي خمسمائة حرامي (يقصد شيوخها وتلاميذها) إلى غير ذلك حتى كرهها الأتراك وغيرهم، حتى كُبست وضُرب أهلها بعد أن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وكانت لها حرمة فلا يجرؤ أحد من ذوي الشوكة على دخولها حتى ولو كان النائب، فكسرت حرمتها، وكان عضده في ذلك قاضي القضاة ابن مفلح" ابن طولون (١٤٠١هـ . ج ١ . ص ٢٦٩) . لقد كانت أسرتي آل قدامة، وآل مفلح مشاعل نور تضيء بلاد الشام علماً وتربية، وحينما تحوّلت ريادة النظام التعليمي لأحفادهما بالوراثة، لم يتجرأ أحد على مدارس الحنابلة كما تجرأ أحفادهما عليها ؛ فهذا ابن زريق أحد أحفاد أبي عمر محمد بن قدامة مؤسس المدرسة العمرية، وهذا قاضي القضاة ابن مفلح حفيد شمس الدين محمد بن مفلح العالم الرباني وأحد أبرز تلاميذ شيخ

الإسلام ابن تيمية يصل بهما الفساد والحقد على ميراث آبائهما أن يقوضا هذه المدرسة العظيمة حتى تسلط السُرَّاق على أوقافها وعلى مكتبتها .

من هذا يتبين أن عناصر قوة النظام المتمثلة في كثرة العلماء وقوتهم، وحسن إدارة الموارد المالية، وثقة الولاة والتجار والعامة ابتداء من القرن الثامن قد بدأت تضعف بمعدل انحدار مخيف، ووصل الضعف إلى أوجه في القرن العاشر ؛ فقد استبدلت عناصر قوة النظام بعناصر ضعف بدأت تكبر وتتضخم مثل الانشغال بالمناصب والتهافت عليها، وتفشي المحسوبية في تولي الوظائف والمناصب حتى تحولت إلى تجارة، وقلة العلماء المتمكنين .

لقد آن الأوان لمركز آخر يتلقف الراية، ويعيد للمذهب قوته ونشاطه.

ثانيا : جوانب القوة والضعف في النظام التعليمي في وسط الجزيرة العربية :

إن العنصر البشري من حيث الجدارة والرغبة والقيم هي أهم عناصر النجاح في النظام التعليمي ولذلك فقد كانت هذه البلاد (وسط الجزيرة العربية) مرشحة بما توفر فيها من طلبة علم في القرن العاشر وتضاعف عددهم في القرن الحادي عشر والثاني عشر لحمل راية الريادة والتصدر والرعاية لمذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - ومدرسته العلمية.

وفيما يلي عرض لجوانب القوة والضعف في نظام التعليم في وسط الجزيرة العربية :

جوانب القوة

١. الرحلة في طلب العلم من وسط الجزيرة العربية إلى بلاد الشام :

تعد الرحلة في طلب العلم من جوانب القوة في النظام التعليمي، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والرحلة في سبيله : "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " رواه مسلم،

ونظرا لقلة العلماء المتميزين في وسط الجزيرة العربية آنذاك .كما كانت مدينة دمشق وضاحيتها الصالحية محط أنظار طلاب العلم نظراً لكثرة العلماء الذين برزوا بدروسهم ومؤلفاتهم التي تميزت بكثرتها وتنوع تخصصاتها وجودتها العلمية . إضافة إلى وجود المدارس والجوامع الحافلة بالدروس، وما توفره الأوقاف فيها من خدمات كالسكن والنفقة . لذلك فقد كانت الرحلة في طلب العلم من أهم الأنشطة التعليمية في ذلك القرن، وقد تم توثيق رحلة تسعة من أبرز طلبة العلم إلى بلاد الشام - كما مر - .

٢. تنوع المناهج الدراسية :

تميزت المناهج الدراسية بتركيزها على ماينفع الناس في العبادات والمعاملات :

- الاهتمام بالفقه : كان اهتمام العلماء في نجد كبيرا بالعلوم التطبيقية التي تمس إليها الحاجة كالفقه، ومن المصادر الأساسية فيه التي كانت موجودة في وسط الجزيرة العربية كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير عون الدين يحيى بن هبيرة (ت٥٦٠هـ) فقد ذكر البسيمي (١٤٣٠ه)ـ أنه وجدت نسخة منه بخط الشيخ منيف بن بسام في أشيقر سنة ٨٨٢هـ . كما توجد نسخة أخرى من الكتاب عليها تملك الشيخ حسن بن علي بن بسام سنة ٩٠٤هـ مما يدل على الاهتمام البارز بالكتاب، ومن المصادر العلمية منظومة النظم الوجيز في الفقه لنصر الله بن أحمد التستري البغدادي (ت هـ ٨١٢) فقد نسخه الشيخ عبدالوهاب بن موسى بن مشرف عام ٩٨٨هـ، وهي نسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية .
- الاهتمام بالفرائض : كما كان لعلماء وسط الجزيرة العربية اهتمام بارز بعلم الفرائض لحاجة الناس قسمة التركات . وقد برز فيه علماء كثيرون

سواء ممن ارتحل إلى طلب العلم في الشام كالشيخ أحمد النجدي الذي صار مرجعا علميا لعلماء الشام في وقته . أو الذين حصلوا علومهم في نجد كالشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن محمد البسام فقد ذكر البسيمي (١٤٢٣هـ) أنه نسخ بخطه كتاب شرح الشنشوري في الفرائض عام ١٠٤٤هـ . وفي الفرائض تم تداول نسخة من شرح نظم الكافية لحسين بن يوسف بن أبي السري الدجيلي الحنبلي (ت ٧٢٣هـ). والاهتمام بالمنظومات هو جزء من طبيعة المنهج في ذلك الوقت الذي يركز على الحفظ أولا ثم الفهم ولذلك اهتموا بالمنظومة مع شرحها حتى يتحقق هدف الحفظ وهدف الفهم والاستيعاب والتطبيق . والحفظ في العلوم الشرعية له أهميته حتى في ذلك العصر الذي عزَّت فيه الكتب وصعب توفيرها مما جعل وقف الكتب من أهم مجالات الوقف العلمي . وركز المعلمون في طريقتهم على غرسه في الصدور .

١. الاهتمام بالقضايا المعاصرة :بالرغم من رتابة الظروف الاجتماعية والمتغيرات الأخرى بين هذا القرن والقرون السابقة إلا أن علماء هذا القرن لديهم القدرة على النظر في النوازل وفق القواعد الشرعية، فقد "أفتى أحمد بن عطوة بتحريم الدخان" البسام (١٤٢٦هـ، ١٥٣) حيث بدأ ينتشر شيئا فشيئا وهذه الفتوى معمول بها إلى الآن .

٢. الاهتمام بالجانب الوجداني والقيمي : من الكتب المتداولة في وسط الجزيرة العربية في القرن العاشر وما قبله كتاب التوابين لشيخ المذهب الإمام موفق الدين بن قدامة صاحب المغني (ت ٦٢٠هـ)، وهو كتاب تربوي يعرض بأسلوب جذاب قصص الصراع بين الحق والباطل، وانتصار الحق بالتوبة والرجوع إلى الله ولا شك أن هذا من الاهتمام بعرض القُدُوات لمن قصّر وأسرف وهو من بواعث التوبة ومعين عليها اقتفاء لأثر قوافل التائبين .

وقد أشار محمد بن حميد (١٤١٦) إلى أنه اطلع على نسخة من الكتاب بخط عبدالله بن شفيع التميمي كتبت سنة ٧٩٩هـ، مما يدل على تداول الكتاب وقراءته وتدريسه إلى القرن العاشر الهجري، وما بعده .

٣. علوم اللغة العربية : ولها أهميتها في فهم القرآن والسنة . ولها أهمية خاصة في الفقه ؛ لأن استنباط الأحكام الشرعية يتطلب فهما صحيحا للنص، ولذلك اهتم بها علماء وسط الجزيرة العربية في القرن العاشر . وربما ضعف الاهتمام بها بعد ذلك فهذا منيع بن محمد العوسجي (ت ١١٣٤هـ) يذكر البسام(١٤١٩هـ) في ترجمته قوله أنه حضر مجلس علماء في الأحساء فقال أحدهم إن أهل نجد بعد سليمان بن علي ليس لهم مدخل في علوم العربية، وهذا يدل على أن زمن سليمان بن علي (ت ١٠٧٩هـ) وما قبله كان لهم اهتمام بتعليم وإتقان اللغة العربية . خاصة من تلقى العلم في بلاد الشام ؛ فهذا العالم المتبحر الشيخ محمد بن إبراهيم بن أبي حميدان يذكر البسام (١٤١٩) : أنه إمام في النحو والبلاغة ولما عاد إلى نجد صار من كبار علمائها وعكف عليه الطلبة واستفادوا منه .

٤.التوحيد : من خلال دراسة سير علماء وسط الجزيرة العربية في القرن العاشر وكذلك سير علماء الشام في ذلك القرن يُلحظ أن الاهتمام بالتوحيد كان ضعيفا، والاهتمام الموجود عندهم يتركز على توحيد الأسماء والصفات فقط، فقد ورد في أسئلة الشيخ حسن بن علي بن بسام لصفي الدين وهي أسئلة تتعلق بالأسماء والصفات تدل على اهتمام واضح بهذا الجانب وتعطش لمعرفته . كما أن رسالة طرف الطرف لأحمد بن عطوة سببها بعض شبه الأشاعرة الذين كان لهم وجود في المنطقة وهي رد عليهم وموضوعها صفة الكلام لله سبحانه وتعالى . ومن المراجع الهامة التي كانت متداولة كتاب

الرد على الجهمية كما ذكر البسام (١٤١٩هـ) لمؤلفه عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠ هـ) . وقد تناول مسائل العقيدة الصحيحة في الأسماء والصفات، فذكر عقيدة السلف في إثباتهم لها من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تعطيل، ودافع عنها، وعرض شبه الجهمية ورد عليها بالدليل .

٤. أما توحيد الأولوهية الذي يُعنى بإخلاص العبادة لله وحماية جناب التوحيد فالاهتمام فيه ضعيف بالرغم من انتشار البدع والخرافات والتوسل بالأولياء والقبور والتبرك بالأشجار والأحجار كما يصوره شاعر القرن العاشر راشد الخلاوي - كما نقل ابن خميس (د.ت.) بقوله في التبرك بالأحجار والأشجار :

فإن سألت قومي يامنيع فلا تسل أحجار وأشجار يعبدون خايبة

وإذا كان الإنسان ابن بيئته فإن وجود مثل هذه الألفاظ في شعر الخلاوي يعطي الباحث دليلا على وجود قسم كبير من المفرطين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والمغالين فيه غلوا يتجاوز الحدود الشرعية اتباعا للعاطفة مع الاعتراف بالخطأ لأن الخلاوي ذكر أن هذه الأشجار والأحجار خائبة أي لاخير فيها .

كما أن بعض الاتجاهات الصوفية ومصطلحاتها كانت سائدة في القرن العاشر وما بعده ؛ فهذا الشيخ عثمان بن قائد يصف أحمد بن عطوة بقوله : "العارف بالله تعالى ذي الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة الذي فتح الله به مقفلات القلوب، وكشف به معضلات الكروب " ابن حميد (١٤١٦هـ، ج ١ ص ٢٧٥) . وهذه من المبالغات الشائعة عند الصوفية وفيها الغلو في العلماء والصالحين . إن القصور في هذا الجانب يمثل أهم جوانب القصور في نظام التعليم في وسط الجزيرة العربية في ذلك القرن الذي ظل على حاله حتى

ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - .

ب - تمويل التعليم :

يتأثر النظام التعليمي في أي بلد بالنظم الموازية له ومنها النظام الاقتصادي، فنظرا لتردي الحالة الاقتصادية وضيق ذات اليد أسهمت في ضحالة الموارد التي يحتاجها النظام التعليمي كنفقات على المعلمين والطلاب والمدارس وغيرها. ولعل من أهم الأسباب على ضعف النظام التعليمي الشح في الموارد الاقتصادية، إضافة لعدم وجود نظام سياسي شامل وقوي . أما أهم موارد التعليم في وسط الجزيرة العربية كما ذكر البسام (١٤٢٦هـ) آنذاك فهي :

١. أولياء أمور الطلاب في مواسم معلومة والأوقاف على المدارس . وإذا أخذنا في الحسبان قلة موارد الآباء، وحاجة كثير من الناس لمساعدة أبنائهم في الزراعة أو الرعي أو التجارة . مع جهل الآباء بأهمية التعليم فإننا ندرك ضحالة هذا المورد .

٢. وغالب المدارس أو الكتاتيب تعتمد على ما يبذله أولياء أمور التلاميذ من أجور المعلم، وحتى المدارس التي تستفيد من بعض الأوقاف لا تستغني عن مشاركة أولياء الأمور والقادرين من أفراد المجتمع في دعمها .

جـ - طرق التدريس : لا تتوفر معلومات مفصلة عن طرق التدريس في هذا النظام، وفي الغالب لا يختلف عن غيره حيث الطرق التقليدية ؛ ففي الكتاتيب التي تعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، والخط والحساب . يعتمد المعلم على التلقين . كما أن أسلوب الضرب كان شائعا لتوجيه سلوك التلاميذ نحو أداء الواجبات والتكاليف . أما في المستويات العليا من التعليم فتعتمد على القراءة من الكتاب، وشرح الشيخ وتعليقه على الموضوع، والاجابة عن أسئلة الطلاب .

جوانب الضعف :

ومن خلال عرض أبرز ملامح نظام التعليم في وسط الجزيرة العربية يتبين وجود بداية نشاط علمي وتعليمي مرتبط بمذهب الإمام احمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - ووجود علماء وطلبة علم لديهم درجة عالية من الوازع الداخلي والمسؤولية الاجتماعية في تحمل أعباء السفر لبلاد الشام لتلقي العلم على أهله وفي مدارسه . وهذه مؤشرات ميلاد نظام تعليمي ساهم في استعداد المنطقة لقيام كيان سياسي موحد يستند لمنهجية علمية تستند إلى عقيدة التوحيد التي اجتمعت عليها الأمة في عهد الرسول - صلى الله وعليه وسلم - ولا يمكن أن تجتمع على خلافها .

وبدراسة الباحث للنظام التعليمي في وسط الجزيرة العربية يمكن إبراز جوانب قصور في ذلك النظام التعليمي، وأهمها :

١. ضعف الاهتمام بجانب العقيدة - وخاصة توحيد الألوهية - الذي يتناول إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة من دعاء وطلب شفاعة والاستغاثة بالأموات، والغلو في محبة الرسول - صلى الله وعليه وسلم - ، والحلف بغير الله . وهنا يلحظ المتابع لهذه القضية تشابه مع نظام التعليم في بلاد الشام .

٢. ضعف الاهتمام بسيرة الرسول - صلى الله وعليه وسلم - ومافيها من دروس وعبر ومواقف تربوية مؤثرة .

٣. ضعف الاهتمام بعلوم القرآن الكريم وتفسيره وعقد الدروس العلمية له ؛ فدراسة القرآن الكريم وتدبره هو أشرف ما يمكن أن يشتغل به العلماء وطلبة العلم .

٤. ضعف الاهتمام بدراسة الحديث الشريف وشروحه ؛ فهو المصدر

الثاني للتشريع، وفيه تفاصيل الأحكام الشرعية في الفقه والعقيدة وغيرها ؛ فلا يكفي الانشغال بالفقه - على شرفه - عن دراسة مصادر التشريع .

٥. ضعف الاهتمام بالتاريخ : فدراسة التاريخ وقيام الحضارات مهم جدا في معرفة ما جرى في أحوال الأمم الغابرة مع أنبيائها، وأسباب قيام وسقوط الدول . وهو علم مهم في استشراف المستقبل، والتخطيط السليم لقيام الحضارة .

٦. ضعف التمويل : إن تمويل التعليم من بناء المدارس والصرف عليها من مرتبات، وتفريغ العلماء وطلبة العلم للانشغال به، وكفاية الأمة في هذا الجانب . ونظرا لسوء الأحوال الاقتصادية في إقليم وسط الجزيرة العربية ، وعدم قيام سلطة مركزية يمكن أن تصرف على التعليم أو تخصص له الأوقاف . كل ذلك ساهم في ضعف هذا النظام واقتصاره على فئة محدودة جدا من أبناء الموسرين، أو من لديهم درجة عالية من الشغف العلمي .

العلاقة التعليمية بين الشام ووسط الجزيرة العربية :

تمثلت العلاقة العلمية بين الشام ووسط الجزيرة العربية بدرجة كبيرة في التدريس والتلمذة ؛ فقد شهد هذا القرن ظاهرة تربوية ملحوظة تمثلت في وجود عدد من طلاب العلم من وسط الجزيرة العربية الذين انتقلوا طلبا للعلم إلى بلاد الشام، وقد لقي هؤلاء الطلاب كل محبة ورعاية ودعم وتشجيع من علماء بلاد الشام . وفيما يلي عرض لأبرز العلماء الذين كان لهم تواصل مع هؤلاء الطلاب، ثم عرض للعلماء النجديين الذين رحلوا في طلب العلم إلى الشام .

أولا : علماء بلاد الشام الذين درس علي يديهم طلاب العلم النجديين :

١. جمال الدين يوسف بن حسن بن عبدالهادي بن يوسف بن قدامة المقدسي (٨٤٠ - ٩٠٩هـ) . وهو من العلماء الموسوعيين كثرت مؤلفاته في علوم الحديث والفقه وأصوله والعربية والتاريخ والتراجم وغيرها.

التعلم والتعليم : ذكر في ترجمة شخصه (١٤٢١) في كتاب الجوهر المنضد : فقد نشأ في بيئة علمية فأبوه وجده كانا عالمين وقد تلقى تعليمه الأوليّ عليهما، كما تلقى تعليمه بعد ذلك في مدارس الصالحية العامرة بالعلم والعلماء. ومن خلال استعراض سيرته العلمية يتبين أنه تبحر في كثير من العلوم : فقد تلقى القرآن وغيره من العلوم على شيخه على زين الدين بن الحبال ، ودرس الحديث في صحيح البخاري على شيخه زين الدين بن الحبال، وعلى أحمد الفولاذي (ت ٨٦٧هـ) . ودرس صحيح مسلم على شيخه زين الدين بن الحبال، وعلى أحمد الفولاذي أيضاً، ودرس ثلاثيات البخاري على محمد بن عبدالله بن نجم الصفي، وعمر اللؤلؤي المقرئ، ومسند أحمد، وسنن أبي داود والشمائل النبوية للترمذي على أبو العباس الحريري. أما في الفقه : فقد درس المقنع لابن قدامة على تقي الدين البعلي وكذلك على زين الدين بن الحبال. وعلى تقي الدين بن قندس، وتقي الدين الجراعي وعلاء الدين المرداوي .

ويلاحظ حرصه على ترسيخ المعلومات بتكرار دراسة الكتاب الواحد على أكثر من شيخ، وهذا يكسبه قدرة على المقارنة مع ترسيخ المعلومات واكتساب المهارات العلمية .

اشتغاله بالتدريس : درس عليه مجموعة من طلاب العلم الذين حملوا لواء التعليم، ونشر العلم . كما يُلحظ وجود ثلاثة من الطلاب النجديين الذين تتلمذوا عليه، وهم : أحمد يحيى بن عطوة التميمي النجدي قرأ عليه أصول بن اللحام، وأحمد النجدي قرأ عليه في المقنع وغيره وفضل بن عيسى النجدي قال ابن عبدالهادي (١٤٢١هـ) عنه " صاحبنا قرأ علي المقنع وغيره ذا دين وفضل كاسمه توفي سنة ٨٨٢هـ" ص١١٢ ، وقاسم النجدي قدم علينا

بعد الستين (يقصد بعد ٨٦٠هـ) وله فضل ومعرفة لاسيما بالفرائض. يتميز ابن عبدالهادي بحرصه على تعليم أبنائه وأهله فقد كان له دروس خاصة يعقدها في منزله يحضرها أولاده ونسائه وأقاربه وخدمه صغارا وكبارا، ويقرأ عليهم مؤلفاته ويجيزهم بها. وهذه الميزة قل من العلماء من يتنبه لها ويعمل بها، فالأقربون أولى بالمعرفة وهم أحق بعلمه وتربيته.

انتاجه العلمي : تميز ابن عبدالهادي بإنتاجه العلمي الغزير، والمتنوع، هذا الإنتاج العلمي المبارك منه ماهو مطبوع ومنه ما هو مخزون في دور الكتب بانتظار أصحاب الهمم من الباحثين، وقد قام السلامة (١٤٢٠هـ) بإصدار كتاب معجمي خاص بها ذكر فيه أن مجموع كتبه المطبوعة ٢٣ كتابا، والمخطوطة ١٦١، وبطبيعة الحال أنها تختلف وتتنوع في موضوعاتها وفي درجة أهميتها ، ومن أهم المجالات العلمية التي ألف فيها : الحديث وعلومه، والفقه، والقواعد الفقهية، والعقيدة، والسيرة النبوية، وسير العشرة المبشرين بالجنة، والتراجم وعلم الرجال، وله بعض الرسائل في التربية والاجتماع منها : تهذيب النفس، العمل بالعلم، وذم الهوى، والذعر من أحوال الزعر، والرسا للصالحات من النساء، زبد العلوم وصاحب المنطوق والمفهوم، وقد تأثر بالتصوف فألف كتاب التشوف إلى علم التصوف، كما أشار في كتابه الجوهر المنضد في طبقات متأخري مذهب الإمام أحمد (١٤٢١هـ) إلى أن أحمد بن محمد البعلي الحنبلي هو من ألبسه الخرقة القادرية. وفي الحديث وعلومه له : بلغة الحديث إلى علم الحديث.

١. شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن العُسْكُري (ت ٩١٢هـ) قال ابن عبدالهادي (١٤٢١هـ) في ترجمته مفتي الحنابلة في دمشق كان عالما زاهدا متواضعا حفظ القرآن واشتغل بالتدريس في المدرسة العمرية كان بارعا في

تدريسه حريصا على اتباع طريقة السلف في العقيدة أبرز شيوخه القاضي علاء الدين المرداوي . من تلاميذه شهاب الدين الشويكي ، وموسى الحجاوي ، وأحمد بن عطوة الناصري .

٢. شهاب الدين أحمد بن أحمد الشويكي (٨٧٥- ٩٣٩هـ) مفتي الحنابلة بدمشق درس وتخرج بالمدرسة العمرية حفظ القرآن ، ومختصر الخرقي ، وملحة الإعراب . درس على شيخه شهاب الدين العُسكري (ت ٩١٢هـ) ومن تلاميذه موسى الحجاوي ، وشهاب الدين أحمد بن عطوة النجدي ، اللذين لازماه في الدراسة على شهاب الدين العُسْكُري ، ثم واصالا التعليم على يديه . له كتاب التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح في الفقه .

٣. شرف الدين أبو النجا موسى بن أحمد الحجاوي مفتي الحنابلة بدمشق برز في الحديث والفقه وأصوله (٨٩٥ - ٩٦٨هـ) تتلمذ على عدة علماء أبرزهم شيخه الشويكي ، مفتي الحنابلة بدمشق بعد شهاب الدين العُسْكَري . عاصر أحمد بن عطوة النجدي وأخذا عن الشويكي ، ولكل منهما مشيخة على الآخر . وقد ذكر التركي في مقدمة كتاب الإقناع لطالب الانتفاع للحجاوي (١٤٢٣هـ) أنه درس عليه مجموعة من طلاب العلم النجديين منهم : الشيخ حسن بن علي بن بسام وشهاب الدين أحمد بن عطوة النجدي ، وبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي حميدان النجدي صحبه سبع سنين وله منه إجازة ، وقريبه أحمد بن إبراهيم بن أبي حميدان النجدي ، وأحمد بن محمد بن مشرَّف النجدي . وزامل بن سلطان بن زامل من آل يزيد من بني حنيفة اليمامي المقرني النجدي قاضي الرياض ، وأبو النور سلطان بن محمد بن إبراهيم بن أبي جده المعروف بابن أبي حميدان من علماء نجد ، وأبو النورين عثمان بن محمد بن إبراهيم الشهير بأبي جدة

النجدي، وشمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبي حميدان الشهير بأبي جدة النجدي. كان له مجموعة من المؤلفات معظمها في الفقه منها الإقناع لطالب الانتفاع، وزاد المستقنع في اختصار المقنع، وحاشية التنقيح، وحاشية على الفروع وغيرها.

ثانياً: العلماء النجديين الذين ارتحلوا في طلب العلم إلى بلاد الشام:

تقع مدينة دمشق حاضرة بلاد الشام بعيدا عن وسط الجزيرة العربية خاصة إذا كانت وسيلة السفر ظهور الإبل، مع اختلال الأمن وكثرة قطاع الطرق، لكن قيّض الله في هذه المنطقة مجموعة من طلبة العلم تولدت لديهم رغبة جامحة في التزود منه فتحملوا الصعاب وخاطروا بحياتهم، وتغلبوا على ظروفهم الاجتماعية، فقاموا برسالتهم خير قيام ابتداء بتكوين أنفسهم، ثم تحمُّل رسالة التعليم، والصبر عليه، وفيما يلي عرض لأبرزهم - حسب ماتوفر من معلومات -:

١. قاسم النجدي: من العلماء الذين رحلوا إلى بلاد الشام لتلقي العلم ثم التعليم، وقد كان متميزا في علم الفرائض، وقد مكث في بلاد الشام، وتوفي هناك - رحمه الله - يقول عنه ابن عبدالهادي (١٤٢١هـ) " قدم علينا بعد الستين(يقصد بعد عام ٨٦٠هـ والله أعلم) وله فضل ومعرفة خاصة في الفرائض" ج١ ص ١٠٧.

٢. حسن بن علي بن عبدالله بن بسام: تلقى العلم على علماء بلده أولاً، وكان حريصاً على الاستفادة منهم، ومن غيرهم ممن يمر على بلده من علماء في طريق الحج. فقد ورد أنه التقى معين الدين الصفوي ٨٣٢- ٩٠٥هـ - وقد عرّفه الهنداوي في جامع البيان في تفسير القرآن للصفوي (١٤٢٤ه) من علماء الشافعية في بلاد فارس له مصنفات في التفسير والحديث والرد على

الفلاسفة وقد زار بلدة أشيقر في طريقه إلى المدينة النبوية ووجه له بعض الأسئلة والاستفسارات، ذكر البسام (١٤١٩هـ) أنه لحبه للعلم وشغفه به لم يكتفِ بذلك بل سافر إلى بلاد الشام وتلقى العلم على أشهر علمائها العلامة الفقيه موسى الحجاوي (ت ٩٦٨هـ)، وبعد أن تفقه وتمكن عاد إلى بلده أشيقر ليؤدي رسالته في نشر العلم في ذلك المجتمع المتعطش للعلوم والمعارف ؛ فقام بالتعليم والإفتاء والقضاء حتى توفي رحمه الله سنة ٩٤٥هـ، وقد كان حريصا على اقتناء الكتب التي كانت شحيحة جدا في ذلك الوقت . ومن ذلك حرصه على اقتناء نسخة من كتاب الإفصاح لابن هبيرة عليها تملكه سنة ٩٠٤هـ.

٣. أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد بن رحمة الناصري :

مفتي نجد وأكبر علمائها ورائد النهضة العلمية في وسط الجزيرة العربية خلال القرن العاشر ولد في العُيينة ونشأ بها وتعلم على فقهائها، ويحتمل أن من شيوخه رحمة الناصري ؛ لوجودهما في ظرف زماني ومكاني واحد، ورحمة الناصري أول عالم نجدي يشار إليه في تراجم الحنابلة آنذاك ؛ فقد وصفه يوسف بن عبدالهادي (١٤٢١هـ) بأنه عالمٌ في بلاد نجد وأنه قاضٍ هناك، ويبدو أن هذه المعرفة كانت من طريق قريبه هذا .

ولد أحمد بن عطوة في بداية النصف الثاني من القرن التاسع ؛ فقد ذكر ابن حميد (١٤١٦هـ) أنه تلقى العلم على الشيخ علي المرداوي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ واستفاد منه كثيرا' ولما كانت همته عالية، وشغفه بالعلم كبير، ولما استشرف حاجة مجتمعه للعلماء الذين ينيرون لهم الطريق، ويبينون لهم الحق رأى أن ينهل من أفضل موارد العلم في زمانه، وليس هناك خيار أفضل من بلاد الشام مركز العلوم وقبلة طلاب العلم من ذوي الهمة العالية، وقوة الإرادة والصبر على الغُربة فرحل إلى دمشق وأفاد من علمائها الكبار تلقى

على " العلامة علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥ هـ)، ويوسف بن عبدالهادي (ت ٩٠٩هـ)، وأحمد بن عبدالله العُسْكُري (ت ٩١٠ هـ)، وقد درَّس بالمدرسة العمرية بعد وفاة شيخه العسكري، ومن أبرز تلاميذه بالشام زميله في طلب العلم الشيخ موسى الحجاوي (ت ٩٦٨هـ) ؛ حيث تتلمذا جميعا على الشيخ علي المرداوي، ثم جمال الدين يوسف بن عبدالهادي، ثم على شهاب الدين العسكري " البسام (١٤١٩هـ، ج١ ص ٥٤٩) . ولاشك أن بقاء أحمد بن عطوة فترة طويلة تزيد على ٢٥ عاما أعطته تمكنا وتميزا إضافة لمواهبه في الحفظ وحدة الذكاء وقوة الشخصية حتى أن بعض مشايخه لقبوه شهاب الدين كما كني بأبي العباس وهي كنية شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) تشبيها له به، ومن أقرانه الشيخ أحمد بن محمد الشويكي (ت ٩٣٩هـ) . فكلاهما من أبرز تلاميذ أحمد بن عبدالله العُسْكُري، وقد جرت بينهما مناظرة حول مسألة التمر المعجون هل يبقى على معياره الأصلي مكيلا (رأي الشويكي)، أم يصير معياره الوزن (رأي أحمد بن عطوة)، وحصل بينهما خصومة بسبب ذلك، ترك على إثرها بلاد الشام، بعد أن أوقف كثيرا من الكتب التي تملكها على طلاب العلم في المدرسة العمرية، ورجع إلى بلاد نجد فنفع الله به وقاد مسيرة العلم والإفتاء في نجد وقد تخرج على يديه العديد من العلماء، ومن أبرزهم كما ذكر البسام (١٤١٩هـ) محمد بن عبدالقادر بن راشد بن مشرف الوهيبي، وموسى بن عامر قاضي الدرعية، وأحمد بن فيروز، وعثمان بن علي بن زيد، وعبدالرحمن بن مصبح الباهلي، وعبدالقادر بن بريد بن مشرف، ومنصور بن يحيى الباهلي، وسلطان بن إدريس بن ريس بن مغامس الوهيبي، وكثير منهم تولى التدريس والقضاء في بلدان متفرقة من وسط الجزيرة العربية ."وألَّف

مؤلفات عديدة منها الروضة الأنيقة في الفقه، والتحفة البديعة في الفقه، ودرر الفوائد وعقيان القلائد في الفقه أيضاً، وغيرها توفي- رحمه الله-في بلدة الجبيلة سنة ٩٤٨هـ " ابن حميد (١٤١٦هـ، ج١ ص ٢٧٥) .

٤. محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي حميدان (أبو جدة)

وهو من العلماء الأفذاذ الذين رحلوا طلبا للعلم، ولما تزود منه عاد إلى بلاده معلماً ومفتياُ ذكر البسام (١٤١٩هـ) أنه ولد ٩٢٠سنة هـ في بلدة أشيقر" - حاضرة العلم آنذاك - بدأ تعليمه في بلده وكانت له همة عالية في تحصيل العلم ، وبعد أن استفاد من علماء بلده زادت رغبته للرحلة في طلب العلم فرحل إلى الشام، ودرس على الشيخ موسى بن أحمد الحجاوي (ت ٩٦٨هـ)، ولازمه سبع سنين، وأجازه في الفقه في كتب الإقناع، والمقنع، والخرقي، كما أذن له بالفتوى، ونظرا لقلة العلماء الحنابلة البارزين في النصف الثاني من القرن العاشر في الشام فقد رحل من هناك إلى مصر حيث استفاد من علماء الأزهر فدرس على "محمد بن أحمد الغيطي الذي أجازه في الحديث عام ٩٦٨هـ . ثم عاد إلى بلاده ليؤدي رسالته في نشر التعليم والقضاء والإفتاء حتى توفي في آواخر القرن العاشر - رحمه الله تعالى - .

٥. أحمد بن محمد بن مشرف الوهبي : ذكر ابن حميد (١٤١٦هـ) ولد في أشيقر وقرأ على علمائها، ثم رغب في التزود من العلم فسافر إلى دمشق وأخذ عن الشيخ موسى الحجاوي (ت ٩٦٨هـ)، لكن ظروفه لم تساعده على استكمال التأهيل في بلاد الشام خاصة وأنه تأهل على عالمها الفذ آنذاك موسى الحجاوي (مدرسة طلاب العلم النجديين)، فرجع إلى بلده، وواصل الأخذ على الشيخ أحمد بن عطوة حتى تأهل للتعليم والإفتاء وتخرج على يديه عدد من العلماء من أبرزهم محمد بن أحمد بن إسماعيل، والشيخ

سـليمان بـن علـي بـن مشـرف (ت ١٠٧٩هـ) (جـد الشـيخ محمـد بـن عبدالوهاب) - رحمهم الله - ، وسليمان بن علي هو عالم نجد الأول ومفتيها في القرن الحادي عشر .

٦. أحمـد بـن إبـراهيم بـن محمـد بـن أبـي حميـدان : ولـد في أول القـرن العاشر الهجري" البسام (١٤١٩هـ) وأخذ العلم عن علماء نجد ثـم ارتحـل إلى دمشـق وأخـذ عـن علمائهـا ومـنهم الشـيخ موسـى الحجـاوي ، وبعـد عودتـه تصدى للتعليم حتى وفاته وهو أخٌ لمحمد المتقدم ذكره .

٧. الشيخ محمـد النجـدي الحنبلـي الفرضـي : مـن علمـاء وسـط الجزيـرة العربية الذين ارتحلوا إلى بلاد الشام فتلقـى العلـم علـى علمائهـا ، وبعـد تأهلـه صار عالماً يشار إليه بالبنان ، والمعلومات الواردة عنه قليلـة ، فقـد ذكـره المحبي (١٩٨٢) ، وأشار إلى أنه من شـيوخ عـلاء الـدين بـن ناصـر الـدين الطرابلسـي الدمشقي الحنفي شيخ الإقراء بدمشق المتوفى ١٠٣٢هـ .

٨. الشيخ محمد النجدي : عالمٌ بالفرائض والحساب أشـار إليـه المحبي (١٩٨٢) في ترجمة شمس الدين محمد بـن إبـراهيم الفرضـي الميـداني التنـوري الشـافعي المتـوفى ١٠٠٧هـ (أحـد مشـاهير مشـايخ دمشـق في علـم الفـرائض والحساب وكانت إليه النهاية في هذين العلمين) ، ذكـر أنـه أخـذ الفـرائض عـن الشيخ محمد النجدي نزيل العمرية بصالحية دمشـق ، وقـرأ عليـه وخدمـه كـثيرا حتى مهر ، ويظهر أنه هو وسابقه لم يعودا إلى بلادهما ؛ فورد ذكرهما عَرَضاً هنا دون إفرادهما بترجمة خاصة ، ولم تشر إليهما المصادر الأخرى .

٩. زامل بن سلطان الخطيب آل يزيد : "ولـد في بلـدة مقـرن أوائـل القـرن العاشر" البسام (١٤١٩هـ) تلقى العلم على علماء بلده ولما حصَّل وتمكَّن مـن العلوم المتوفرة لديهم ، ولحرصـه وشـغفه بـالعلم تـرك أهلـه ووطنـه واتجـه نحـو

مركز العلم آنذاك بلاد الشام وتحديدا في الصالحية قرب دمشق حيث عالمها الفذ الشيخ موسى بن أحمد الحجاوي فتلقى العلم على يديه حتى أجازه ' وذكر ابن بشر (١٤٠٣هـ) أنه عاد إلى بلدته (مقرن) فرحل إليه طلاب العلم، واستفادوا منه وساهم مع كوكبة علماء ذلك العصر في إرساء قواعد النهضة العلمية في وسط الجزيرة العربية . وقد تولى القضاء إضافة للتدريس في مدينة الرياض .

من هذا يتبين العلاقة الوثيقة بين وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام ؛ فعلماء نجد الكبار في هذا القرن هم تلاميذ علماء الشام . وكثير منهم مكثوا سنوات طويلة فابن عطوة يتبين من خلال سيرته مكث ما يزيد عن ربع قرن، اشتغل خلالها بالتعلم والتعليم في بلاد الشام، ثم عاد إلى بلده عالما متمكنا أقبل عليه طلاب العلم للأخذ عنه، وتخرج على يديه كثير من علماء القرن العاشر والحادي عشر، وكذلك غيره من العلماء .

الدروس التربوية المستفادة من هذه الحقبة في وضع التعليم الحالي :

هناك العديد من الدروس التي يمكن استفادتها سواء في جوانب القوة أو جوانب الضعف أو في العلاقة بين النظامين التعليميين، ومنها :

١. أن النظام التعليمي يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام السياسي والأمني . فلا يمكن قيام نظام تعليمي قوي في ظل تدهور الأوضاع الأمنية ؛ فمن واجب العلماء وطلبة العلم بذل الجهد في تعزيز تماسك المجتمع، والسمع والطاعة لولاة الأمر .

٢. أن النظام التعليمي جزء من الحضارة والتمدن فلا يمكن أن يقوم نظام تعليمي في البوادي ومع حالة التنقل والترحال، وقد تبنت المملكة العربية السعودية توطين البادية بإقامة القرى والهجر، وتوفير الخدمات العامة، ونشر المدارس فيها حتى تقلصت الأمية بشكل كبير .

٣. أن نشأة المدارس أساسا كان لنشر الفكر والمذهب والمعتقد، وهذه الوظيفة من أهم وظائف المدرسة إلى الآن ؛ فالمدرسة ليست مكان نشر المعرفة وحسب بل مكان غرس وتنمية للقيم والاتجاهات، وتتحمل المدرسة مسؤولية كبرى في الحماية الفكرية حسب ظروف الزمان والمكان .

٤. وجود المذاهب الفقهية كان حافزا للتنافس وإنشاء المدارس والتأليف والتعليم ؛ والمدارس والجامعات مسؤولة عن نشر ثقافة الحوار، ومنهج التربية الإسلامية يقوم على الحوار والإقناع . وتاريخ علماء المسلمين حافل بتقبل بعضهم لبعض بالرغم من وجود اختلاف في الرأي تسوّغه الأدلة .

٥. الخلاف في المذهب الفقهي نادرا ما كان سببا في خلاف أو عداوة بل إن طلبة العلم كثيرا ما كانوا يتلقون العلوم عند علماء يختلفون معهم في المذهب . أما الخلاف العَقَدي فإنه في الغالب يؤدي إلى عداوة وفُرقة .

٦. ساهمت المكانة الاجتماعية المتميزة للعلماء والمعلمين في قوة النظام التعليمي وازدهاره في بلاد الشام في القرن العاشر وما قبله ؛ فاحترام المعلم مبدأ أصيل في التربية الإسلامية، والنظام التعليمي والنظام الإعلامي مسؤولة عن ضرورة تعزيز مكانة المعلم لدى الطلاب ولدى شرائح المجتمع كافة .

٧. أثرت المحسوبية وقصر الوظائف العليا في النظام التعليمي بتولي من ليسوا أهلاً له مما ساهم في تدهور النظام التعليمي ؛ لقد بينت شواهد التاريخ أن الاستئثار بالوظائف العليا واعتماد معايير غير الجدارة والكفاءة من أسباب صعف النظم والدول واختلالها .

٨. ارتباط قوة النظام التعليمي بالنظام السياسي ؛ فحينما كانت الدولة المملوكية قوية الجانب وافرة الاقتصاد فقد كان النظام التعليمي تبعا له قويا متماسكاً .

٩. من أبرز عوامل قوة النظام التعليمي وفرة الأوقاف التي ساهمت في نشر المدارس والإنفاق على العلماء والطلاب . كما أن التلاعب بهذه الأوقاف ساهم في تقويض النظام التعليمي وتدهور الحركة التعليمية ؛ فيجب التوسع في الأوقاف التعليمية وتعزيز ثقة الناس بها لضمان استمرار النهضة التعليمية في حال ضعف الموارد الأخرى التي يعتمد عليها حاليا .

١٠. من أسباب تدهور النظام التعليمي في بلاد الشام كثرة تعيين قاضي القضاة ونوابهم مما ولَّد كثرة التغيير في الوظائف الأدنى وعدم استقرار السياسة التعليمية ؛ فمن أسباب تطوير النظم التعليمية وغيرها بعد اختيار الأكفأ إعطاؤه الفرصة الكافية حتى يضع خططه وبرامجه ويقوم عمله . فالعمل المؤسسي بطيء في تغييره ولابد من إعطاء الوقت الكافي لإحداثه .

١١. للأسر العلمية دور في التعليم ونشره، لما تهيؤه لأبنائها من مناخ علمي وتربوي ورعاية واهتمام . لكن يجب الحذر من تولية الوظائف العامة والمسؤوليات الكبيرة لمن هو ليس أهل لها .

١٢. إهمال علماء الحنابلة في الشام لتدريس العقيدة ساهم في توسع التيار الصوفي حتى أثر هذا الفكر على بعض علماء المذهب وما ترتب على ذلك من شيوع التقليد الشامل للشيوخ وتقديسهم، ومن الطبيعي أن يتأثر طلبة العلم من وسط الجزيرة العربية بهذا المسلك وبالتالي تقبلهم لوجود بعض الانحرافات العقدية ؛ ولقد بينت شواهد الماضي والحاضر أن الخطورة على وحدة الأمة وتماسك المجتمع تأتي بدرجة كبيرة من عدم الاهتمام بالعقيدة وغرسها، وتحقيق الواء والبراء في ضوئها .

١٣. تطور فلسفة التعليم لدى الحنابلة في دمشق ؛ فقد كانت الفلسفة السائدة أن المادة العلمية هي محور النظام التعليمي، ويجب أن يتكيف الطلاب

معها أو يتركوا العلم . إن وجود اهتمام بالأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة والمساجين يدل على وجود فلسفة تعليمية راقية تنظر للتعليم باعتباره حاجة ماسة لكافة الفئات، وكل فئة تعطى من التعليم ما يناسبها .

١٤. تميز نظام التعليم عند الحنابلة في دمشق بالاهتمام البارز في تعليم المرأة فخرج العشرات بل المئات من العالمات اللاتي كن يدرسن في منازلهن وربما تدرس عليهن بعض العلماء وطلبة العلم .

١٥. نظرا لحاجة النظام التعليمي في دمشق لتفرغ العلماء وتفرغ طلبة العلم المتقدمين ولكادر من الموظفين والحاجة لبناء وتوسع المدارس وكل ذلك يحتاج إلى تمويل مستمر وكافي حتى لا تتعطل العملية التعليمية . لقد اعتنى القائمون على النظام التعليمي بالأوقاف ؛ فخصصوا لها نظاماً إدارياً متقدماً تتحقق فيه الرقابة على عدة مستويات حتى نالوا ثقة الأمراء والأثرياء وعامة الناس مما جعلهم يتسابقون في وقف أموالهم للمدارس والمساجد وطلبة العلماء والعلماء .

١٦. نظرا لتراكم الخبرة التعليمية وكثرة العلماء فقد ابتكروا طرائق وأساليب جديدة منها التدريس بالفريق وهو نوع من التعليم يتسم بالإثراء والعمق والتنوع والتنشيط للطلاب بتجدد عرض المعلمين وتشويق الطلاب لمثل هذا اللون من الدروس .

١٧. من أبرز مؤشرات ضعف النظام التعليمي عند الحنابلة في الشام تعيين غير الأكفاء في الوظائف الهامة مع وجود الضعف العلمي، أو الفساد الأخلاقي فيهم . لأن الكوادر البشرية من أهم ركائز النظام فإذا تهاوت وضعفت ضعف النظام التعليمي وتعرض للانهيار .

١٨. أن العنصر البشري والقيم التي تحركه هي أهم عناصر النظام

التعليمي ؛ فبالرغم من ضعف البنية التحتية للنظام التعليمي في وسط الجزيرة العربية إلا أنه تشكل بفضل الله ثم جهود مجموعة من طلاب العلم الرواد في وسط الجزيرة العربية الذين شربوا حب العلم والاستزادة منه ولم يكتفوا بتحصيل العلم في بلادهم فارتحلوا إلى الشام وتحملوا مشاق السفر والغربة في طلب العلم .

* * *

المصادر والمراجع:

أولا : المصادر :

١. ابن بشر، عثمان بن عبدالله: عنوان المجد في تاريخ نجد. (تحقيق) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ. دارة الملك عبدالعزيز. الرياض. ط ٤. ١٤٠٣هـ.

٢. ابن تيمية، عبدالسلام: المحرر. (تحقيق) عبدالله التركي). مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٢٨هـ

٣. جونز، جون ونتر: رحلات فارتيما (الحاج يونس المصري) : (ترجمة) عبدالرحمن الشيخ. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٤.

٤. الحجاوي، موسى بن أحمد : الإقناع لطالب الانتفاع. (تحقيق) عبدالله بن عبدالمحسن التركي. ط ٣. دارة الملك عبدالعزيز. الرياض. ١٤٢٣هـ .

٥. ابن حميد، محمد بن عبدالله: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة . (تحقيق) بكر أبو زيد وعبدالرحمن بن عثيمين). مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤١٦هـ.

٦. الخرقي، عمر : متن الخرقي. (تعليق) أبو حذيفة إبراهيم بن محمد. دار الصحابة. طنطا . ١٤١٣هـ

٧. الدجيلي، الحسين بن يوسف السري : الوجيز في فقه الحنابلة. (دراسة وتحقيق) مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكتبة إمام الدعوة بمكة المكرمة. مكتبة الرشد. الرياض. ١٤٢٥هـ.

٨. الذهبي، محمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء. (تحقيق) بشار معلوف ومحيي السرحان. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط ١١. ١٤١٧هـ.

٩. ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد: الذيل على طبقات الحنابلة (تحقيق) عبدالرحمن بن عثيمين. مكتبة العبيكان. الرياض. ١٤٢٥هـ .

١٠. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. دار الجيل بيروت. ١٤١٢هـ

١١. الصفدي، خليل بن إيبك : أمراء دمشق في الإسلام . (تحقيق) صلاح الدين المنجد . دار الكتاب الجديد بيروت . ط ٢ . ١٩٨٤م .

١٢. الصفوي، معين الدين : جامع البيان في تفسير القرآن . (تحقيق) عبدالحميد الهنداوي . دار الكتب العلمية بيروت . ١٤٢٤هـ

١٣. ابن طولون، محمد: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية (تحقيق) محمد دهمان . مجمع اللغة العربية . دمشق . القسم الأول . ط ٢ . ١٤٠١هـ .

١٤. ابن طولون، محمد : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان . (تحقيق) خليل المنصور . دار الكتب العلمية بيروت . ط ١ . ١٤١٨هـ

١٥. ابن طولون، محمد، وابن عبدالهادي، يوسف بن حسن: متعة الأذهان من التمتع بالأقران . دار صادر . بيروت . (د.ت.) .

١٦. ابن عبدالهادي، يوسف بن حسن : إيضاح المقالة فيما ورد في الإمالة (تحقيق) سعاد الصبيح . دار البشائر الإسلامية . بيروت ١٤٣٠هـ .

١٧. ابن عبدالهادي، يوسف بن حسن : الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد (تحقيق) عبدالرحمن العثيمين . مكتبة العبيكان . الرياض . ط١ . ١٤٢١هـ .

١٨. ابن عساكر، علي بن الحسن: تاريخ مدينة دمشق (تحقيق) عمر بن غرامة العمروي . دار الفكر . دمشق . ١٤١٥هـ .

١٩. عطوان، حسين : شعر عمرو بن أحمر الباهلي . مجمع اللغة العربية . دمشق . (د. ت.) .

٢٠. العليمي، عبدالرحمن بن محمد : المنهج الأحمد . (تحقيق) عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط . دار صادر . بيروت . ط ١ . ١٩٩٧

٢١. ابن العماد، عبدالحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب . (تحقيق

) عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط . دار ابن كثير . دمشق . ١٤١٣هـ .

٢٢. ابن عيسى، إبراهيم بن صالح : بعض الحوادث الواقعة في نجد . الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة . الرياض . ١٤١٩هـ .

٢٣. الغزي، محمد كمال الدين : النعت الأكمل . (تحقيق) محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة . دار الفكر . دمشق . ١٤٠٢هـ .

٢٤. الغزي، محمد بن محمد : الكواكب السائرة. دار الكتب العلمية . بيروت . ١٤١٨هـ .

٢٥. المكي، محمد بن أحمد الفاسي : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (مخطوط) .

٢٦. ابن مماتي، الأسعد: كتاب قوانين الدواوين . مكتبة مدبولي . القاهرة . ١٤١١هـ .

٢٧. ابن ناصر الدين، محمد بن عبدالله: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم . (تحقيق) محمد نعيم العرقسوسي . مؤسسة الرسالة بيروت . (د. ت .) .

٢٨. أبي يعلى، محمد : طبقات الحنابلة (تحقيق) عبدالرحمن العثيمين . الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية . ١٤١٩هـ .

٢٩. ابن يوسف، محمد بن عبدالله: تاريخ ابن يوسف . (دراسة وتحقيق) عويضة الجهني . الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية . الرياض . ١٤١٩هـ.

ثانيا : المراجع :

١. البسام، أحمد بن عبدالعزيز : الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية . دارة الملك عبدالعزيز . الرياض . ١٤٢٦هـ .

٢. البسيمي ، عبدالله : من أقدم المخطوطات النجدية كتاب الإفصاح لابن هبيرة بخط منيف بن بسام . الدارة . مجلة فصلية محكمة . دارة الملك عبدالعزيز . العدد ٤ . شوال ١٤٣٠هـ .

٣. تيسير القيسي ، وآخرون : أثر التدريس بفريق متعاون من المدرسين في تحصيل طلبة الصف العاشر الأساسي في الكيمياء . مجلة جامعة دمشق . المجلد ٢٤ العدد١ ٢٠٠٨.

٤. الحافظ ، محمد مطيع : جامع الحنابلة المظفري بصالحية جبل قاسيون . دار البشائر . بيروت ١٤٢٣هـ .

٥. الحازمي ، نوف محمد : أثر الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على الحياة العلمية في عهد المماليك الجراكسة في مصر (٧٨٤ - ٩٢٢هـ) . رسالة ماجستير غير منشورة . قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية . جامعة أم القرى . ١٤٣٠هـ

٦. ابن خميس ، عبدالله : راشد الخلاوي حياته وشعره . دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر . الرياض (د.ت.) .

٧. الدامغ ، فهد : الدولة الأخيضرية في اليمامة . مجلة التاريخ العربي . مجلة التاريخ العربي العدد ٣٠ ربيع ٢٠٠٤ .

٨. دهمان ، محمد أحمد : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي . دار الفكر . دمشق . ١٤١٠هـ .

٩. ابن دهيش ، عبدالملك : المنهج الفقهي العام لعلماء الحنابلة ومصطلحاتهم في مؤلفاتهم . مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة . ط ١ . ١٤٢١هـ

١٠. السعدي ، حصة : القضاة في نجد أثرهم في المجتمع منذ القرن العاشر إلى منتصف القرن الثاني عشر . ط١ . ١٤٢٤هـ ، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه في التاريخ

من جامعة الدمام .

١١. السلامة، ناصر بن سعود : معجم مؤلفات يوسف بن حسن بن عبدالهادي المخطوطة بمكتبات العالم . دار أشبيليا للنشر والتوزيع . الرياض . ط ١ . ١٤٢٠هـ .

١٢. سليمان، أحمد عبدالكريم : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة . دار النهضة العربية . القاهرة . ١٤٠٥هـ .

١٣. الشقير، عبدالرحمن : المذهب الحنبلي في نجد . الدارة (مجلة فصلية محكمة) . دارة الملك عبدالعزيز . الرياض السنة ٢٨ العدد ١ محرم ١٤٢٣هـ .

١٤. صعيدي، ندى : العلماء في بلاد الشام في القرن العاشر الهجري في ضوء كتاب الغزي الكواكب السائرة . رسالة ماجستير في التاريخ (غير منشورة) . الجامعة الأمريكية في بيروت . ١٩٧٤م .

١٥. صادق، صادق سليم : المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً . مكتبة الرشد . الرياض . ط ١ . ١٤١٥ .

١٦. آل عبداللطيف، عبدالعزيز: مسائل الاعتقاد عند علماء نجد قبل الدعوة الإصلاحية . مكتبة الرشد . الرياض .

١٧. العثيمين، عبدالله : نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب . مجلة الدارة . دارة الملك عبدالعزيز . الرياض العدد ٣ السنة ٤ شوال ١٣٩٨ .

١٨. العسكر، عبدالله :إدارة اليمامة في العصر العباسي . الندوة العالمية الخامسة . الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري . جامعة الملك سعود .كلية الآداب . الرياض . ١٤٢٤هـ

١٩. العريني، عبدالرحمن : بادية نجد من القرن العاشر الهجري إلى سقوط الدرعية ١٢٣٣هـ . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ١٤٢٠ه .

٢٠. علي، محمد كرد: خطط الشام . مطبعة الترقي بدمشق . ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)
.

٢١. ليدر، ستيفن : معجم السماعات الدمشقية من ٥٥٠- ٧٥٠هـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية . دمشق . ١٩٩٦م .

٢٢. مصطفى، شاكر: مدينة للعلم آل قدامة والصالحية . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

ثالثا : المقالات :

١. البسيمي، عبدالله : من علماء نجد في القرن العاشر : عبدالوهاب بن موسى بن مشرف . جريدة الجزيرة . العدد ١٢٠٥٧ في ٢٨ / ٨ / ١٤٢٦هـ .

٢. البسيمي، عبدالله : من علماء نجد في القرن الحادي عشر : الشيخ أحمد بن عيسى بن ظاهر الوهبي . جريدة الرياض . العدد ١٤١٢٣ في ٥ / ٢/ ١٤٢٨هـ .

٣. آل سعدان، عليان: دارة الملك عبدالعزيز تصدر مخطوطة ثمينة ألفت قبل أكثر من ٩٠٠ عام (مقال) . جريدة الجزيرة . الرياض . العدد ١٥٤٥٣ في ٢٨/ ٣ / ١٤٣٦هـ .

* * *